

فصل فى حسن الملكة وسوء الملكة

فى « الصحيحين » أو فى « الصحيح »^(١) عن النبى ﷺ أنه قال : « لا يدخل الجنة سيئ الملكة » وهو الذى يسيء إلى ممالكه . وكان يُقال : التسلط على المملوك ذناء .
وقال بعض الحكماء : اذكر عند قدرتك وغضبك قُدرة الله عليك ، وعند حُكْمِكَ حُكْمَ الله فيك .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أكثروا شراء الرقيق ؛ فربَّ عبدٍ يكون أكثرَ مالاً من سيده .

وقال بعض الحكماء : أفضلُ الممالك الصغارُ ، لأنهم أحسنُ طاعةً ، وأقلُّ خلافاً ، وأسرع قبولاً . كان يقال : استخدم الصغير حتى يكبرَ ، والأعجمى حتى يُفصح ؛ قالت ابنة الفتح :

بَطَرْتُمْ فَطَرْتُمْ والعصا زَجَرٌ مَنْ عَصَى وتقويم عبدِ الهون بالهونِ رادعُ
كان يقال : الحرُّ حرٌّ وإن مَسَّهُ الضرُّ ، والعبد عبد وإن مشى على الدرِّ .
وقال الشاعر :

إن العبيد إذا ذَلَّلْتهم صَلَحُوا على الهوان وإن أكرمتهم فَسَدُوا
وقال المتنبي (٢) :

لا تشتتر العبدَ إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاسٌ مناكيدُ
وقال آخر :

إذا أبرم المولى بخدمة عبده تجنَّى له ذنباً وإن لم يكن ذنب

وعن على رضى الله عنه أنه قال : يارسول الله ، إذا بعثتنى أكونُ كالسَّكَّةِ المُحمَّاةِ ، أم

(١) كذا بالمخطوطة ، وهو وهم من المصنف . وقد أخرجه الترمذى فى البر والصلة ، ب ما جاء فى الإحسان إلى الخدم (٩٤٦) ، وقال : « هذا حديث غريب » ، وابن ماجه فى الأدب ، ب الإحسان إلى الممالك (٣٦٩١) ، وقال فى الزوائد : « فى إسناده فرقد السبخى . وهو وإن وثقه ابن معين فى رواية ، فقد ضعفه فى أخرى ، وضعفه البخارى وغيره » كلاهما عن أبى بكر الصديق ، ولم يعزه صاحب التحفة للصحيحين .
(٢) هو شاعر الزمان أبو الطيب أحمد بن حسين بن حسن الجعفى الكوفى الأديب ، الشهير بالمتنبى ، ولد سنة ثلاث وثلاثمائة ، بلغ الذروة فى النظم ، وسار ديوانه فى الآفاق ، ومدح سيف الدولة ، وكافور ، روى عنه على بن أيوب القمى ، وأبو عبد الله بن باكويه وغيرهما ، وقد نال بالشعر مالاً جليلاً ، مات فى رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة [سير أعلام النبلاء ١٦/١٩٩ - ٢٠١ ، تاريخ بغداد ٤/١٠٢ - ١٠٥ ، وفيات الأعيان ١/١٢٠ - ١٢٥] .

الشاهدُ يرى ما لا يرى الغائب ؟ قال : « الشاهد يرى ما لا يرى الغائب » رواه أحمد في «المسند» (١).

فصل فى الإنفاق على الإخوان وسؤال بعضهم لبعض

قال ابن وهب (٢) : أنفقَ ربيعةٌ على إخوانه أربعين ألف دينار ، ثم كان بعدُ يسألُ إخوانَه فى إخوانه . وقال المروذى : قال ابن وهب : سمعتُ بشر بن الحارث (٣) يقول : ولقد جاءنى صديق لى وعندى عشرون درهماً فأعطيتُهُ تسعةَ عشرَ درهماً وبقيتُ لنفسى درهماً ، ففيهم اليوم مَنْ يفعل هذا بصاحبه ؟ .

وأبلغُ من هذا ما قال هارون المستملى (٤) . لقيتُ أحمد فقلت : ما عندنا شيء ، فأعطانى خمسةَ دراهم ، وقال : ما عندنا غيرها .

وقال يحيى بن هلال الورّاق : جئتُ إلى محمد بن عبد الله بن نمير (٥) ، فشكوتُ إليه ،

(١) أحمد ٨٣/١ .

(٢) هو العالم الحافظ البارع الرَّحَّال أبو محمد عبد الله بن محمد بن وهب الدينورى ، حدث عن أبى سعيد الأشج ، ومحمد بن الوليد البسرى ، ويونس بن عبد الأعلى ، وحدث عنه الفريابى ، والنسابةورى وغيرهما ، مختلف فى توثيقه ، مات سنة ثمان وثلاثمائة . [سير أعلام النبلاء ١٤/٤٠٠ - ٤٠٢ ، ميزان الاعتدال ٢/٤٩٤ ، ٤٩٥] .

(٣) بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء الإمام العالم المحدث الزاهد الربانى القدوة شيخ الإسلام أبو نصر المروذى البغدادى المشهور بالخافى ، ولد سنة اثنتين وخمسين ومائة ، أخذ عن مالك ، وشريك ، وحماد ابن زيد وغيرهم ، حدث عنه أحمد الدورقى ، وسرى السقطى ، وخلق كثير ، قلما روى فى المسندات ، مات يوم الجمعة فى شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين . [سير أعلام النبلاء ١٠/٤٦٩ - ٤٧٧ ، وفيات الأعيان ١/٢٧٤ - ٢٧٧] .

(٤) هو الحافظ العالم الزاهد العابد المجاب الدعوة أبو عمرو أحمد بن المبارك المستملى النيسابورى عرف بحكمويه ، سمع من أحمد بن حنبل ، وقتيبة بن سعيد وغيرهما ، وحدث عنه أبو عمرو أحمد بن نصر الخفاف ، وجعفر بن محمد بن سوار وغيرهما ، وثقه الجميع ، مات فى جمادى الآخرة سنة أربع وثمانين ومائتين . [سير أعلام النبلاء ١٣/٣٧٣ - ٣٧٥ ، شذرات الذهب ٢/١٨٦] .

(٥) هو الحافظ الحجة شيخ الإسلام الهمدانى الخارقى مولاهم الكوفى ، ولد سنة نيف وستين ومائة ، فهو من أقران أحمد بن حنبل وعلى المدينى ، حدث عن أبيه عبد الله بن نمير ، والمطلب بن زياد ، وعبيد الطنافسى وغيرهم ، حدث عنه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، وابن ماجه وغيرهم ، ثقة يحتج به ، مات فى شعبان أو رمضان سنة أربع وثلاثين ومائتين . [سير أعلام النبلاء ١١/٤٥٥ - ٤٥٨] .

فأخرج أربعة دراهم أو خمسة ، وقال : هذا نصف ما أملك . وجئت مرة إلى أبي عبد الله بن حنبل فأخرج إليّ أربعة دراهم وقال : هذا جميع ما أملك .

فصل في الأدب والتواضع ومكارم الأخلاق وحظ الإمام أحمد منها

روى الخلال أن أحمد جاء إلى وكيع^(١) وعنده جماعة من الكوفيين — فجلس بين يديه من أدبه وتواضعه ، فقيل : يا أبا عبد الله ، إن الشيخ ليكرمك فمالك لا تتكلم ؟ فقال : وإن كان يكرمني ، فينبغي لي أن أجله .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام^(٢) . ما استأذنت قط على محدث ، كنت أنتظره حتى يخرج إليّ ، وتأولت قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [الحجرات: ٥] .

وقال المروزي^(٣) : كان أبو عبد الله لا يجهل ، وإن جهل عليه احتمل وحلم ويقول : يكفيني الله . ولم يكن بالحقود ولا العجول ، ولقد وقع بين عمه وجيرانه منازعة ، فكانوا يجيئون إلى أبي عبد الله ، فلا يظهر لهم ميله مع عمه ، ولا يغضب لعمه ، ويلقاهم بما يعرفون منه من الكرامة . وكان أبو عبد الله كثير التواضع يحب الفقراء ، لم أر الفقير في مجلس أحد أعز منه في مجلسه ، مائل إليهم ، مقصر عن أهل الدنيا ، تعلوه السكينة والوقار ، إذا جلس في مجلسه بعد العصر لم يتكلم حتى يسأل ، وإذا خرج إلى مجلسه لم يتصدر ، يقعد حيث انتهى به المجلس ، وكان لا يقطن^(٤) الأماكن ويكره إيطانها ، وكان إذا انتهى إلى مجلس قوم جلس حيث انتهى به المجلس . وصحبته في السفر والحضر ، وكان حسن الخلق ، دائم البشر ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ . وكان يحب في الله ويغض في الله ، وكان إذا أحب رجلاً أحب له ما يحب لنفسه وكره له ما يكره لنفسه ، ولم يمنعه حبه له أن يأخذ

(١) هو وكيع بن الجراح بن مليح بن عدى بن فرس بن جمجمة بن سفيان بن الحارث بن عمرو بن عبيد بن رؤاس ، الإمام الحافظ محدث العراق الكوفي ، ولد سنة تسع وعشرين ومائة ، قاله أحمد بن حنبل ، سمع من سليمان الأعمش ، وابن عون ، وابن جريج وغيرهم ، حدث عنه سفيان الثوري ، وعبد الله بن المبارك والحميدي وغيرهم ، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سمعت أبي يقول : كان وكيع حافظاً حافظاً ما رأيت مثله ، مات سنة سبع وتسعين ومائة . [سير أعلام النبلاء ٩/ ١٤٠ - ١٦٨ ، وتاريخ بغداد ٤٩٦/ ١٣ - ٥١٢] .

(٢) هو الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله ، ولد سنة سبع وخمسين ومائة ، سمع من إسماعيل بن جعفر ، وشريك بن عبيد الله ، وسفيان بن عيينة ، حدث عنه نصر بن دود ، ومحمد بن يحيى المروزي ، وغيرهما ، له تصانيف كثيرة ، كان من علماء اللغة المحدثين النحويين الكوفيين ، عالماً بالقراءات ، وثقة الأئمة ، مات سنة أربع وعشرين ومائتين بمكة . [سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٩٠ - ٥٠٩] .

(٣) يقطن : أى لا يخصص لنفسه مكاناً بالمجلس ، ونفس المعنى يتحقق لو قال : لا يوطن .

على يديه ويكفّه عن ظلم أو إثم أو مكروه إن كان منه ، وكان إذا بلغه عن رجل صلاح أو زهد أو اتباع الأثر سأل عنه ، وأحب أن يجرى بينه وبينه معرفة . وكان رجلاً وطيباً ، إذا كان حديث لا يرضاه اضطرب لذلك ، وتبين التغير في وجهه غضباً لله ، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ، فإذا كان في أمر من الدين اشتد غضبه له . وكان أبو عبد الله حسن الجوار ، يؤذى فيصبر ، ويحتمل الأذى من الجيران .

وقال إسحاق بن إبراهيم بن يونس^(١) رأيت أحمد بن حنبل رضى الله عنه وقد صلى العداة فدخل منزله وقال : لا تتبعوني مرة أخرى . وكان يمشى وحده متواضعاً . وقال ابن هاني : رأيت أبا عبد الله إذا التقى امرأتين في الطريق وكان طريقه بينهما وقف ولم يمر حتى تجوزان^(٢) .

وعن أسيد الأنصاري أنه سمع رسول الله ﷺ وهو خارج من المسجد فاختلط الرجال مع النساء في الطريق ، فقال رسول الله ﷺ للنساء : « استأخرن فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق ، عليكن بحافات الطريق » فكانت المرأة تلصق بالجدار حتى إن ثوبها ليعلق بالجدار من لصوقها به^(٣) . رواه أبو داود من رواية شداد بن أبي عمرو بن حمّاس ، تفرد عنه أبو اليمان الرحال المدني ، وقد وثقه ابن حبان ، قال في « النهاية » : هو أن يركب حقها وهو وسطها ، يقال : سقط على حاق القفا وحقه .

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ نهى أن يمشى الرجل بين المرأتين^(٤) . رواه أبو داود والخلال من رواية داود بن أبي صالح ، قال أبو زرعة : لا أعرفه إلا بهذا الخبر ، وهو منكر . وقال البخاري : لا يتابع عليه .

وقال إبراهيم الحربي : كان أحمد بن حنبل كأنه رجل قد وُفق للأدب ، وسُدّد بالحلم ، وملئ بالعلم ، أتاه رجل يوماً فقال : عندك كتاب زندقة ؟ فسكت ساعة ثم قال : إنما يحرز المؤمن قبره .

وقال الخلال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم يعني المعروف بلؤلؤ قال : حضر مجلس أبي عبد الله كبش الزنادقة ، فقلت له : أئى عدو الله ، أنت في مجلس أبي عبد الله ، ما تصنع ؟ فسمعني

(١) هو الإمام المحدث الثقة المعمر ، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن يونس البغدادي الوراق ، عرف بالمتجنيق ، ولد سنة عشرين ومائتين ، حدث عن أحمد بن منيع ، وعبد الله بن مطيع وخلق كثير ، وحدث عنه النسائي ، وجعفر الخلدی ، والطبرانی ، وابن عدى وغيرهم ، قال النسائي . صدوق ، وقال الدارقطني : ثقة ، مات سنة أربع وثلاثمائة في جمادى الآخرة . [سير أعلام النبلاء ١٤/١٤١ ، ١٤٢] .

(٢) في أ ، ر ، ط « تجوزا » وكلاهما صحيح .

(٣) أبو داود في الأدب ، ب في مشى النساء مع الرجال في الطريق (٥٢٧٢) .

(٤) أبو داود في الأدب ، ب في مشى النساء مع الرجال في الطريق (٥٢٧٣) .

أحمد ، فقال : مالك ؟ فقلتُ : هذا عدو الله كبش الزنادقة قد حضر المجلس ، فقال : مَنْ أَمركم بهذا ؟ عَمَنْ أَخَذْتُمْ هذا ؟ دعوا الناس يأخذون العلم وينصرفون لعل الله ينفعهم به . ذكره ابن الأَخير في ترجمته ، وقد تقدم ذكره .

وقال أبو الحسين أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله بن يزيد المنادى : سمعت جدى يقول : كان أبو عبد الله مِنْ أَحياءِ الناس ، وأكرمهم نفساً ، وأحسنهم عشرةً وأدباً ، كثير الإطراق والغَضُّ ، مُعْرِضاً عن القبيح واللغو ، لا يُسْمَعُ منه إلا المذاكرة بالحديث والرجال والطرق وذكر الصالحين والزهاد ، فى وقار وسكون ولفظ حسن ، وإذا لقيه إنسانٌ بشَّ به وأقبل عليه ، وكان يتواضع تواضعاً شديداً ، وكانوا يكرمونه ويعظمونه ويحبونه .

وقال الطبرانى : كنا فى مجلس [أبى على] ^(١) بشر بن موسى ^(٢) — يعنى ابن صالح ابن شيخ بن عميرة الأسدى — ومعنا أبو العباس بن سريج ^(٣) الفقيه القاضى ، فحاضوا فى ذكر محمد بن جرير الطبرى ، وأنه لم يُدْخَلْ ذِكْرُ أحمد بن حنبل فى كتابه الذى ألفه فى اختلاف الفقهاء ، فقال أبو العباس بن سريج : وهل أصول الفقه إلا ما كان يحسنه أحمد بن حنبل ؟ حَفِظَ آثارَ رسول الله ﷺ ، والمعرفة بستته ، واختلاف الصحابة والتابعين رضى الله عنهم .

وقال الحسن بن أحمد بن الليث الرازى : كنت فى مجلس أبى عبد الله أحمد بن حنبل ، فقام إليه رجل من أهل الرى يقال له بشر ، فقال : يا أبا عبد الله ، عندنا شاب بالرى يقال له : أبو زُرْعَة نكتب عنه ؟ فنظر أحمد إليه كالمُنْكَرِ لقوله : شاب ، فقال : نَعَمْ الثقة المأمون أعلى الله كَعْبَهُ ، نَصَرَهُ الله على أعدائه . فلما قدمت الرى أخبرْتُ أبا زُرْعَة فاستعبر وقال : والله إنى لأكون فى الأمر العظيم من أذى الجهمية ، فأتوقَّعُ الفرجَ بدعاء أبى عبد الله .

(١) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوطة ، والمثبت من ر ، وقد ورد فى ط ، أ : « كنا فى مجلس أبى موسى » وهو وهم .

(٢) هو بشر بن موسى بن صالح بن شيخ بن عميرة الإمام الثقة المعمر أبو على الأسدى البغدادى ، ولد سنة تسعين ومائة ، سمع من الأصمعى ، وسعيد بن منصور ، والحميدى وغيرهم ، وحدث عنه أبو القاسم الطبرانى وأبو بكر الشافعى وخلائق ، كان ثقة أميناً ، مات سنة ثمان وثمانين ومائتين فى آخر ربيع الأول . [سير أعلام النبلاء ١٣ / ٣٥٢ — ٣٥٤] .

(٣) هو الإمام شيخ الإسلام فقيه العراقيين ، أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادى القاضى الشافعى صاحب المصنفات ، ولد سنة بضع وأربعين ومائتين ، سمع من أبى داود السجستانى ، وحمدان بن على الوراق وغيرهما ، وحدث عنه أبو القاسم الطبرانى ، وأبو الوليد حسان بن محمد الفقيه وغيرهما ، مات فى ربيع الأول سنة خمس وثلاثين ومائتين ببغداد . [سير أعلام النبلاء ١٤ / ٢٠١ — ٢٠٤ ، وفيات الأعيان ١ / ٦٦ ، ٦٧] .

وقال المروذى سمعت أبا عبد الله يقول : جاءني أبو علي بن يحيى بن خاقان ، فقال لى : إن كتاباً جاء فيه : إن أمير المؤمنين — يعنى المتوكل — يقرئك السلام ، ويقول لك : لو سلم أحد من الناس لسلمت أنت ، ها هنا رجل قد رفع عليك ، وهو فى أيدينا محبوس رفع عليك أن علويّاً قد توجه من أرض خراسان ، وقد بعثت برجل من أصحابك يتلقاه : فإن شئت ضربته ، وإن شئت حبسته ، وإن شئت بعثته إليك . قال أبو عبد الله : فقلت له : ما أعرف مما قال شيئاً ، وأرى أن تطلقوه ولا تعرضوا له .

وقال لما سير عامر بن عبد قيس إلى الشام : اجتمعوا عليه وحوله بالمربد ، فقال : إني داع فأمنوا ، ثم قال : اللهم من سعى لى فأكثر ماله وولده ، وأطل عمره ، واجعله موطاً العقبيين . وقال المروذى : أخبرت أبا عبد الله عن رجل سفيه يتكلم ويؤذى ؟ قال : لا تعرضوا له ، إنه من لم يقرّ بقليل ما يأتى به السفيه أقر بالكثير .

وروى الخلال عن أبى جعفر الخطمي^(١) ، عن جده عمرو بن حبيب — وكانت له صحبة — أنه أوصى بنيه فقال : إياكم ومجالسة السفهاء ، فإن مجالستهم داء ، وإنه من لم يقر بقليل ما يأتى به السفيه يقر بالكثير . قال ابن الجوزى : قالت الحكماء : السفه نباح الإنسان ، وقال الشاعر :

وَمَنْ يَعِضُّ الْكَلْبَ إِنْ عَصَا

وأنت ترى السبع إذا مرّ به السباع فى السوق كيف تنبحه الكلاب وتقرّب منه ، ولا يلتفت ولا يعدّها شيئاً ؛ إذ لو التفت كان نظيراً ، ومتى أمسك عن الجاهل عاد ما عنده من العقل موبخاً له على قبح ما أتى به ، وأقبل عليه الخلق لائمين له على سوء أدبه فى حق من لا يجيبه ، وقد قال الشاعر :

وَأَغِظُ مَنْ نَادَاكَ مَنْ لَا تُجِيبُهُ

وما ندّم حليم ولا ساكت ، وإنما يندم المقدم على المقابلة والناطق ، فإن شئت فاحتسب سكوتك عن السفيه أجراً لك ، وإن شئت فاعدده احترازاً من أن تقع فى إثم ، وإن شئت كان احتقاراً له ، وإن شئت كان سكوتك سبباً لمعاونة الناس لك ، وإن تلمحت القدر علمت أنه ما يُسلط إلا مُسلط ؛ فرايت الفعل من غيره ، إما عقوبة وإما مثوبة .

(١) هو الإمام الحافظ الثقة القاضى ، أبو موسى إسحاق بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن يزيد الخطمي الأنصارى المدنى الفقيه ، قاضى نيسابور ، سمع من سفیان بن عیینة ، وعبد السلام بن حرب وجماعة ، حدث عنه مسلم ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه وآخرون ، ثقة ، وأطنب أبو حاتم فى الثناء عليه ، مات سنة أربع وأربعين ومائتين . [سير أعلام النبلاء ١١ / ٥٥٤ ، ٥٥٥] .

وروى أبو داود : حدثنا عيسى بن حماد ، أخبرنا الليث ، عن سعيد المقبري ، عن بشير ابن الحرر ، عن سعيد بن المسيب أنه قال : بينما رسول الله ﷺ جالس ومعه أصحابه وقع رجل في أبي بكر فآذاه ، فصمت عنه أبو بكر ، ثم آذاه الثانية فصمت عنه أبو بكر ، ثم آذاه الثالثة فانتصر منه أبو بكر ، فقام رسول الله حين انتصر أبو بكر ، فقال أبو بكر : أوجدت علي يا رسول الله ؟ فقال النبي ﷺ : « نزل ملك من السماء يكذبه بما قال [لك] (١) ، فلما انتصرت وقع الشيطان ، فلم أكن لأجلس إذا وقع الشيطان » (٢) .

حدثنا عبد الأعلى بن حماد ، حدثنا سفيان ، عن ابن عجلان ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي هريرة أن رجلاً كان يسب أبا بكر وساق نحوه (٣) .

قال أبو داود : وكذلك رواه صفوان بن عيسى عن ابن عجلان كما قال سفيان إسناد جيد ، والذي قبله من مراسيل سعيد بن المسيب . وبشير تفرد عنه المقبري .

ثم روى أبو داود في هذا الباب وهو (باب الانتصار) ، عن عبيد الله بن معاذ والقواريري ، عن معاذ بن معاذ ، حدثنا ابن عون قال : كنت أسأل عن الانتصار : ﴿ وَلَمَّا انتَصَرْ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ ﴾ [الشورى : ٤١] . فحدثني علي بن زيد بن جدعان ، عن أم محمد امرأة أبيه — قال ابن عون : وزعموا أنها كانت تدخل على أم المؤمنين — قالت : قالت أم المؤمنين : دخل على رسول الله ﷺ — وعندنا زينب بنت جحش — فجعل يصنع شيئاً بيده حتى فطنته لها ، فأمسك فأقبلت زينب تقحم لعائشة ، فأبت أن تنتهي ، فقال لعائشة : « سبها » فسبتها فغلبتها ، فانطلقت زينب إلى علي فقالت : إن عائشة وقعت بكم ، وفعلت ، فجاءت فاطمة ، فقال لها : « إنها حبة أبيض ورب الكعبة » فانصرفت ، فقالت لهم : إنى قلت له : كذا وكذا ، فقال لي : كذا وكذا . قالت : وجاء علي إلى النبي ﷺ فكلمه في ذلك (٤) . أم محمد تفرد عنها علي بن زيد وعلي حديثه حسن (٥) .

ولأبي داود بإسناد حسن من حديث جابر بن سليم : « وإن امرؤ شتمك أو عيرك بما يعلم فيك فلا تعيره بما تعلم فيه ، يكن وبال ذلك عليه » (٦) ولأحمد هذا المعنى وفيه : « فيكون أجره لك ووزره عليه » (٧) .

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من المخطوطة ، وما أثبتناه من سنن أبي داود .

(٢) أبو داود في الأدب ، ب في الانتصار (٤٨٩٦) .

(٣) أبو داود في الأدب ، ب في الانتصار (٤٨٩٧) .

(٤) أبو داود في الأدب ، ب في الانتصار (٤٨٩٨) .

(٥) علي بن زيد ضعفه غير واحد .

(٦) أبو داود في اللباس ، ب ما جاء في إسبال الإزار (٤٠٨٤) .

(٧) أحمد ٥ / ٦٣ .

وروى أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا أبو بكر ، عن الأعمش ، عن أبي خالد الوالبى ، عن النعمان بن مقرن المزنى قال : قال رسول الله ﷺ ، وَسَبَّ رَجُلٌ رَجُلًا عَنْده فجعل الرجلُ المسبوبُ يقول : عليك السلامُ ، فقال رسول الله ﷺ : « أَمَا إِنَّ مَلَكًا بَيْنَكُمَا يَذُبُّ عَنْكَ ، كَلِمَا شَتَمَكَ هَذَا ، قَالَ لَهُ : بَلْ أَنْتَ ، وَأَنْتَ أَحَقُّ بِهِ ، وَإِذَا قُلْتَ لَهُ : عَلَيْكَ السَّلَامُ قَالَ : لَا بَلْ أَنْتَ أَحَقُّ بِهِ » (١) وكلهم ثقات ، وأبو بكر هو ابن عياش ، والظاهر أن أبا خالد لم يدرك النعمان .

وروى أبو حفص العُكْبَرِيُّ (٢) فى « الأدب » له : عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالْتَّعَلُّمِ ، وَالْحِلْمُ بِالْتَّحْلُمِ ، مَنْ يَتَحَرَّ الْحَيْرَ يُعْطَهُ ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ . وروى أيضاً عن عبد الملك بن أبجر قال : انتهى الشعبى إلى رجلين وهما يغتابانه ويقعان فيه ، فقال :

هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرٍ لَعَزَةً مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتْ

وروى أيضاً عن عمر رضى الله عنه قال : لَا حِلْمَ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ حِلْمِ إِمَامٍ وَرَفْقَةٍ ، وَلَا جَهْلٌ أَبْغَضُ إِلَى اللَّهِ مِنْ جَهْلِ إِمَامٍ وَحَزَنِهِ (٣) ، وَمَنْ يُنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ يُعْطَ الظَّفَرَ مِنْ أَمْرِهِ ، وَالذَّلُّ فِي الطَّاعَةِ أَقْرَبُ إِلَى الْمُؤْمِنِ مِنَ التَّقَرُّبِ فِي الْمَعْصِيَةِ .

وروى أيضاً عن ابن عباس قال : مَا بَلَغْنِي مِنْ أَحَدٍ مَكْرُوهٌ إِلَّا أَنْزَلْتُهُ إِحْدَى ثَلَاثِ مَنَازِلَ : إِنْ كَانَ فَوْقِي عَرَفْتُ لَهُ قَدْرَهُ ، وَإِنْ كَانَ نَظِيرِي تَفَضَّلْتُ عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ دُونِي لَمْ أَحْفَلْ بِهِ ، هَذِهِ سِيرَتِي فِي نَفْسِي فَمَنْ رَغِبَ عَنْهَا فَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ . قَالَ ابْنُ عَقِيلٍ فِي « الْفَنُونِ » وَذَكَرَ قَوْلَ الْمَجْنُونِ :

حَلَالٌ لِّلْيَلَى شَتْمُنَا وَانْتِقَاصُنَا هَنِيئًا وَمَغْفُورًا لِّلْيَلَى ذَنْبُهَا

قال ابن عبد البر : وَكَانَ يُقَالُ : الْغَالِبُ فِي الشَّرِّ مَغْلُوبٌ . شَتَمَ رَجُلٌ أَبَا ذَرٍّ فَقَالَ لَهُ : يَا هَذَا ، لَا تَغْرِقْنِ فِي شَتْمِنَا ، وَدَعْ لِلصِّلَحِ مَوْضِعًا ، فَإِنَّا لَا نَكَافِي مِنْ عَصَى اللَّهِ فِينَا بِأَكْثَرِ مِنْ أَنْ نَطِيعَ اللَّهَ فِيهِ . أَعْطَى الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا شَاعِرًا قَفِيلَ لَهُ : لَمْ تَعْطِ مَنْ يَقُولُ الْبَهْتَانَ ، وَيَعْصِي الرَّحْمَنَ ؟ فَقَالَ : إِنَّ خَيْرَ مَا بَذَلْتَ بِهِ مِنْ مَالِكَ مَا وَقِيتَ بِهِ مِنْ عَرْضِكَ ، وَمَنْ ابْتَغَى الْخَيْرَ اتَّقَى الشَّرَّ .

(١) أحمد ٤٤٥ / ٥ .

(٢) هو أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان ، العكبرى البزاز أحد المسندين ، سمع أبا جعفر بن يحيى الطائى وأبا بكر النقاش ، وغيرهما ، روى عنه أبو بكر الخطيب ، ومضر بن البطر وجماعة ، توفى سنة سبع عشرة وثلاثمائة . [سير أعلام النبلاء ١٧ / ٣٦٠ ، ٣٦١ ، تاريخ بغداد ١١ / ٢٧٣] .

(٣) الْحَزَنُ : مَا غَلِظَ مِنَ الْأَرْضِ ، وَالْمَقْصُودُ بِهِ هُنَا قَسْوَةُ الْإِمَامِ عَلَى رَعِيَّتِهِ ، وَقَدْ أوردته المطبوعات كلها «وحدته» ، ولعله تصحيف .

قال الشاعر :

وما يقي عنك قوماً أنت خائفهم كمثل دفعك جهالاً بجهال
فاقعس إذا حدبوا، واحذب إذا قعسوا ووزان الشرّ مثقالاً بمثقال

القعس: خروج الصدر ودخول الظهر وهو ضد الحدب ، يقال : رجل قعس وقعيس ومتقاعس . وقال آخر :

لعمرك ما سبّ الأمير عدوه ولكنما سبّ الأمير المبلّغ
وقال آخر :

حلال لليلي شتمنا وانتقاصنا هنيئاً ومغفوراً لليلي ذنوبها

ويأتى ما يتعلق بهذا بالقرب من نصف الكتاب فيما يتعلق بمكارم الأخلاق قبل ذكر الزهد. وقال ابن هبيرة الحنبلي^(١) الوزير : ليكن غاية أملك من عدوك الإنصاف ، فمتى طلبته منه ، كان سائر الخلق عوناً لك ، فأما أخوك وصديقك فعاملهما بالفضل والمسامحة لا بالعدل. وقال أبو عبيد القاسم بن سلام فى الإمام أحمد فى أثناء كلام له : فبارك الله فيما أعطاه من الحلم والعلم والفهم ، وإنه لكما قال مطّريه :

يزينك إماً غاب عنك ، فإن دنا رأيت له وجهاً يسرك مُقبلاً
يعلّم هذا الخلق ما شدّ عنهم من الأدب المجهول كهفاً ومعللاً
ويجسر فى ذات الإله إذا رأى مضيقاً لأهل الحق لا يسأم البلاء
وإخوانه الأدنون كلُّ موفقٍ بصيرٌ بأمر الله يسمو إلى العلا

وقال الخلال : حدثنا المروذى قال: قال لى أحمد : ما كتبت حديثاً عن النبى ﷺ إلا وقد عملتُ به ، حتى مرّ بى فى الحديث أن النبى ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبة ديناراً ، فأعطيتُ الحجام ديناراً حين احتجمت .

وقال الحسين بن إسماعيل : سمعت أبى يقول : كان يجتمع فى مجلس أحمد زهاء خمسة آلاف ، أو يزيدون ، أقلّ من خمسمائة يكتبون ، والباقي يتعلمون منه حسن الأدب وحسن السمّ .

(١) هو الوزير الكامل الإمام العالم العادل عون الدين أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعيد بن الحسن ابن الجهم الشيبانى الدورى العراقى الحنبلى ، صاحب التصانيف ، ولد سنة تسع وتسعين وأربعمائة ، سمع أبا عثمان بن ملة ، وهبة الله بن الحصين وغيرهما ، توفى سنة ستين وخمسمائة . [سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٤٢٦ - ٤٣٢ ، وفيات الأعيان ٦ / ٢٣٠ - ٢٤٤] .

وقال محمد بن مسلم : كنا نهابُ أن نرأى أحمد بن حنبل في الشيء أو نُحاجَّهُ في شيء من الأشياء ؛ يعنى لجلالته ولهيبه الإسلام الذى رَزَقَهُ .

وقال الميمونى^(١) : ما رأيت أحداً أنظفَ ثوباً ولا أشدَّ تعاهداً لنفسه فى شاربهِ وشعر رأسهِ وشعر بدنهِ ، ولا أنقى ثوباً وأشدَّ بياضاً من أحمد بن حنبل . وقالت فاطمة بنت أحمد بن حنبل : وقع الحريق فى بيت أخى صالح ، وكان قد تزوج إلى قوم مياسير فحملوا إليه جهازاً شبيهاً بأربعة آلاف دينار فأكلته النار ، فجعل صالح يقول : ما غَمَّنِي ما ذهبَ منى إلا ثوبَ أبى كان يصلى فيه ؛ أتبركُ به وأصلى فيه . قالت : فطفئَ الحريقُ ودخلوا فوجدوا الثوبَ على سريرٍ قد أكلت النار ما حوله والثوبُ سالم .

قال ابن الجوزى : وهكذا بلغنى عن قاضى القضاة على بن الحسين الزينى^(٢) : أنه حكى أن الحريق وقع فى دارهم فاحترق ما فيها إلا كتاباً كان فيه شيء بخط أحمد .

قال ابن الجوزى : ولما وقع الغرق ببغداد سنة أربع وخمسين وخمسمائة وغرقت كتبى سلم لى مجلد فيه ورقتان من خط الإمام أحمد رحمه الله . انتهى كلامه .

وفى قصيدة إسماعيل بن فلان الترمذى التى أنشدها للإمام أحمد بن حنبل وهو فى السجن فى المحنة يقول فيها :

إذا مِيزَ الأشياخُ يوماً وحُصِّلُوا	فأحمدُ من بين المشايخِ جوهرُ
إذا افتخرَ الأَقوامُ يوماً بسيدٍ	ففيه لَنَا والحمدُ لله مَفخرُ
فيا أيها الساعى ليدركَ شأوهُ	رويدَكَ عن إدراكِهِ سَتَقْصُرُ
حمى نفسه الدنيا وقد سَنَحَتْ له	فمنزلُهُ إلا من القوتِ مُقْفَرُ
فإن يَكُ فى الدنيا مِقْلاً فَإِنَّهُ	من الأدبِ المحمودِ والعلمِ مَكْتَرُ

وروى من غير طريق أن الشافعى رضى الله عنه كتب من مصر كتاباً وأعطاه للربيع بن سليمان ، وقال : اذهب به إلى أبى عبد الله أحمد بن حنبل وائتنى بالجواب ، فجاء به إليه

(١) هو الإمام العلامة الحافظ الفقيه أبو الحسن عبد الملك بن عبد الحميد بن عبد الحميد بن شيخ الجزيرة ميمون ابن مهران الميمونى الرقى تلميذ الإمام أحمد ، ومن كبار الأئمة ، سمع من إسحاق بن يوسف الأزرق ، وحجاج بن محمد وغيرهما ، حدث عنه : النسائى ووثقه ، وأبو عوانة وآخرون ، مات فى ربيع الأول سنة أربع وسبعين ومائتين . [سير أعلام النبلاء ١٣ / ٨٩ ، ٩٠] .

(٢) هو الإمام القاضى رئيس الحنفية صدر العراقيين نور الهدى أبو طالب الحسين بن محمد بن على بن حسن الزينى الحنفى ، مولده سنة عشرين وأربعمائة ، سمع أبا طالب بن غيلان ، وأبا القاسم الأزهرى وغيرهما ، حدث عنه : عبد الغافر الكاشغرى ، وعلى بن طراد وغيرهم ، مات فى صفر سنة اثنتى عشرة وخمسمائة . [سير أعلام النبلاء ١٩ / ٣٥٣ - ٣٥٥] .

فلما قرأه تغرغرت عيناه بالدموع . وكان الشافعي ذكر فيه أنه رأى النبي ﷺ في المنام وقال له :
اكتب إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل واقراً عليه مني السلام وقل له : إنك ستمتحن وتُدعى
إلى خلق القرآن ، ولا تُجِبهُم يرفع الله لك علماً إلى يوم القيامة ، فقال له الربيع : البشارة
فأعطاه قميصه الذي يلي جلده وجواب الكتاب ، فقال له الشافعي : أى شيء دفع إليك ؟
قال : القميص الذي يلي جلده ، قال : ليس نفجعك به ، ولكن بله وادفع إلينا الماء حتى
نشركك فيه . وفي بعض الطرق قال الربيع : فغسلته وحملت ماءه إليه ، فتركه في قنينة ،
وكنت أراه في كل يوم يأخذ منه فيمسح على وجهه تبركاً بأحمد بن حنبل رضى الله عنهما .

وقد قال الشيخ تقي الدين : كذبوا على الإمام أحمد حكايات في السنة والورع ، وذكر
هذه الحكاية وحكاية امتناعه من الخبز الذي خُبِزَ في بيت ابنه صالح لما تولى القضاء ؟ ودفع إلى
الإمام أحمد كتاب من رجل يسأله أن يدعو له ، فقال : فإذا دعونا لهذا فنحن من يدعو
لنا ؟

فصل في حسن الجوار

وروى المروذي عن الحسن : ليس حسن الجوار كف الأذى ، حسن الجوار الصبر على الأذى ،
ورواه أبو حفص العكبري في « الأدب » له عن الشعبي . وفي « الصحيحين » من حديث
عائشة ومن حديث ابن عمر : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » (١) .

وفيهما من حديث أبي هريرة : « مَنْ كَانَ يَوْمُنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُوْذُ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ
يَوْمُنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَكْرَمْ ضَيْفَهُ » (٢) . ولمسلم أيضاً : « فَلْيَحْسِنْ إِلَى جَارِهِ » (٣) ورواه
أيضاً من حديث أبي شريح العدوي (٤) . ولأحمد : « فليكرم جاره » (٥) . ولأحمد من
حديث عبد الله بن عمر : « فليحفظ جاره » (٦) .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة : « وَاللَّهِ لَا يَوْمُنُ ، وَاللَّهِ لَا يُوْذُ جَارَهُ ، وَاللَّهِ لَا
يَوْمُنُ ، مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقِهِ » ولمسلم أيضاً : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ » (٧) .

(١) البخاري في الأدب ، ب الوصاة بالجار (٦٠١٤) ، ومسلم في البر والصلة ، ب الوصية بالجار والإحسان
إليه (١٤٠ / ٢٦٢٤) .

(٢) البخاري في الأدب ، ب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (٦٠١٨) ، ومسلم في الإيمان ،
ب الحث على إكرام الجار والضيف (٧٥ / ٤٧) .

(٣) مسلم في الإيمان ، ب الحث على إكرام الجار والضيف (٧٦ / ٤٧) .

(٤) مسلم في الإيمان ، ب الحث على إكرام الجار والضيف (٧٧ / ٤٨) .

(٥) أحمد ٢ / ٢٦٧ ، ٤٣٣ ، ٤٦٣ .

(٦) أحمد ٢ / ١٧٤ .

(٧) البخاري في الأدب ، ب إثم من لا يأمن جاره بوائقه (٦٠١٦) ، ومسلم في الإيمان ، ب بيان تحريم إيذاء
الجار (٧٣ / ٤٦) .

وروى أبو داود : حدثنا الربيع بن نافع أبو توبة ، حدثنا سليمان بن حيان ، عن محمد ابن عجلان ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو جاره ، فقال : « اذهب فاصبر » ، فأتاه مرتين أو ثلاثاً ، فقال : « اذهب فاطرح متاعك في الطريق ، فطرح متاعه في الطريق ، فجعل الناس يسألونه ، فيخبرهم خبره فجعل الناس يلعنونه : فعلَ اللهُ به وفعل ، فجاء إليه جاره فقال له : ارجع ، لا ترى منى [شيئاً] (١) تكرهه (٢) . إسناده جيد ، ومحمد حسن الحديث .

وله أيضاً وللترمذى وقال : حسن غريب : عن عبد الله بن عمرو أنه ذبح شاة فقال : أهديتم لجارنا اليهودى ؟ فإنى سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « ما زال جبريل » الحديث (٣) .

وقال البخارى فى « التاريخ » فى الكنى : أبو عمر هو البجلي (٤) . قال على بن حكيم الأودى : حدثنا شريك ، عن أبي عمر ، عن أبي جحيفة قال : شكا رجل إلى النبي ﷺ جاره فقال : « احمل متاعك فضعه على الطريق فَمَنْ مرَّ به يلعنه » فجعل كلُّ مَنْ مرَّ به يلعنه ، فجاء إلى النبي ﷺ فقال : ما لقيت من الناس ؟ فقال : « إن لعنةَ الله فوق لعنتهم » (٥) .

وقال ابن عبد البر : كان داود عليه السلام يقول : اللهم إني أعوذُ بك من جارٍ سوء : عينهُ ترانى وقلبه لا ينسانى . وقال أبو الدرداء : مكتوب فى التوراة : إن أحسد الناس للعالم وأبغاهم عليه قرابتهُ وجيرانه . وقال عكرمة : « إن أزهّد الناس فى عالمٍ جيرانه » . وقال البيهقى وغيره عن كعب الأحبار : فى الكتاب المنزل الأول : « أزهّد الناس فى عالمٍ جيرانه » . وقال الحسن البصرى : وروى مرفوعاً ولا يصح .

قال ابن عبد البر : وقال رجل لسعيد بن العاص : والله إني أحبك ، فقال : ولم لا تحبني ولست لى بجار ولا ابن عم ؟ كان يقال : الحسد فى الجيران ، والعداوة فى الأقارب . قال الشاعر :

أنت خلى وأنت حُرْمَةٌ جارى	وحقيقٌ علىَّ حِفْظُ الجِوار
إن للجار إن تغيبَ عيناً	حافظاً للغيب والأسرار
ما أبالى أكان للباب سِتْرٌ	مُسَبَّل أم بقى بغير ستار

(١) ساقطة من المخطوطة ، وقد أثبتناها من أبي داود .

(٢) أبو داود فى الأدب ، ب فى حق الجوار (٥١٥٣) .

(٣) أبو داود فى الكتاب والباب السابقين (٥١٥٢) ، والترمذى فى البر والصلة ، ب ما جاء فى حق الجوار (١٩٤٣) .

(٤) البخارى فى التاريخ الكبير فى الكنى ٥٦/٨ (٤٨٥) .

(٥) البخارى فى الأدب المفرد ، ب الكرم (١٢٥) ، والحاكم فى المستدرک فى البر والصلة ١٦٦/٤ .

وقال آخر :

نارى ونَارُ الجَارِ وَاحِدَةً وإليه قَبْلِي تُنْزَلُ الْقِدْرُ
ما ضَرَّ جَاراً لى أَجَاوِرُهُ ألا يكونَ لِإِبَاهِ سِتْرُ
أعمى إذا ما جارتى بَرَزَتْ حتى تُوَارِيَ جَارَتِي الْجُدْرُ

وقال آخر :

أقولُ لجارى إذ أتانى معاتباً مدلاً بحقٍّ أو مُدلاً بباطلٍ
إذا لم يَصِلْ خيرى وأنت مجاور إليك فما شَرِّى إليك بواصلٍ

ومن كلام على بن أبى طالب رضى الله عنه : الجار قبل الدار ، والرفيق قبل الطريق .
أخذه الشاعر فقال :

يقولون قبل الدار جارٌ موافقٌ وقبلَ الطريقِ النَّهْجُ أنْسُ رفيقٍ

وقال آخر :

اطلبْ لنفسك جيراناً تُجَاوِرُهُمْ لا تَصْلُحْ الدَّارَ حتى يَصْلَحَ الجَارُ

وقال آخر :

يلومونى إذ بعت بالرخص منزلاً ولم يعرفوا جاراً هناك يُنْغِصُ
فقلت لهم كفوا الملام فإنها بجيرانها تغلو الديار وترْخُصُ

وقال الحسن البصرى رحمه الله : إلى جنب كل مؤمن منافق يؤذيه .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من حق الجار أن تبسط إليه معروفك ، وتكف عنه
أذاك .

وقال على بن أبى طالب للعباس : ما بقى من كرم إخوانك ؟ قال : الإفضالُ على
الإخوان ، وتركُ أذى الجيران . قال الشاعر :

سَقِيّاً وَرَعِيّاً لَأَقْوَامٍ نَزَلَتْ بِهِمْ كأن دارَ اغترابى عندهم وطنى
إذا تأملتُ من أخلاقهم خُلُقاً علمتُ أنهم من حِلْيَةِ الزَّمَنِ

وقال آخر :

إذا ما رفيقى لم يكن خَلْفَ ناقتى له مركبٌ فضلٌ فلا حَمَلَتْ رحلى
ولم يك مَنْ زادى له نصف مِزْوَدِى فلا كنتُ ذا زادٍ ولا كنتُ ذا رحلٍ
شريكين فيما نحن فيه وقد أرى على له فضلاً بما نال من فضلى

وقال آخر :

نزلتُ على آل المهلب شائلاً غريباً عن الأوطان فى بلد مَحَلٍ
فما زال بى إكرامهم وافتقادهم وبرهم حتى حَسَبْتَهُمْ أَهْلِي

وذكر ابن عبد البر : ثلاث إذا كن فى الرجل لم يشك فى عقله وفضله : إذا حمده جاره ، وقربته ، ورفيقه .

كدر العيش فى ثلاث : الجار السوء ، والولد العاق ، والمرأة السيئة الخلق . ثلاثة لا يأنف الكريم من القيام عليهن : أبوه وضيغه ودابته . ويأتى هذا المعنى فى مخالطة السلطان قبل فصول اللباس .

خمس أشياء تقبح فى خمسة أصناف : الحدة فى السلطان ، وقلة الحياء فى ذوى الأحساب ، والبخل فى ذوى الأموال ، والفتوة فى الشيوخ ، والحرص فى العلماء والقراء .

وفيهما أيضاً من حديثه : « يا نساء المؤمنات ، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة »^(١) . وللترمذى : « تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدر ، ولا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة » [(٢)] (٣) .

الفرس : العظم قليل اللحم ، وهو خف البعير أيضاً كالحافر للدابة ، وقد يستعار للشاة وهو الظلف . ونونه زائدة وقيل أصلية . ووحى الصدر : بالتحريك غُشُهُ ووسواسه . ولأحمد من حديث عمر : لا يشع الرجل دون جاره (٤) .

قال فى « المستوعب » : وحسن الجوار مأمورٌ به ، فإن للجار حقاً وحرمة ، ثم ذكر كما ذكر الحسن وزاد فى آخره ما لم يعص الله تعالى .

(١) البخارى فى الأدب ، ب لا تحقرن جارة لجارتها (٦٠١٧) ، ومسلم فى الزكاة ، ب الحث على الصدقة ولو بالقليل (٩٠ / ١٠٣٠) .

(٢) ما بين المعقوفتين ساقطة من المخطوطة ، وما أثبتناه من صحيح الترمذى .

(٣) الترمذى فى الولاء والهبة ، ب فى حث النبى ﷺ على التهادى (٢١٣٠) ، وقال : « هذا حديث غريب من هذا الوجه » .

(٤) أحمد ٥٥ / ١ عن عمر بن الخطاب ، ورجاله ثقات وفيه انقطاع .

وجاء رجل إلى أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (١) يشاوره في الانتقال من محلة إلى أخرى لتأذي الجوار ، فقال : العرب تقول : صَبْرُكَ على أذى مَنْ تُعرفه خيرٌ لك من استحداث مَنْ لا تعرفه . وكان الشيخ تقى الدين يقول هذا المعنى أيضاً .

وروى البيهقي في مناقب الإمام أحمد عن عثمان بن زائدة قال : العافية عشرة أجزاء ، تسعة منها في التغافل . فحدثت به أحمد بن حنبل فقال : العافية عشرة أجزاء كلها في التغافل (٢) .

وروى أحمد : عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة قال : ما كثرت النعم على قوم قط إلا كثرت أعداؤها . وقد ذكرت خبر حذيفة عن النبي ﷺ قال : « لا ينبغي للمؤمن أن يُذل نفسه » قالوا : يا رسول الله ، وكيف يذل نفسه ؟ قال : « يتعرض من البلاء ما لا يطيق » (٣) وقال بعضهم :

والحرُّ يُنكرُهُ والفيلُ والأسدُ	إن الهوان حمارُ الموت يألُفُهُ
إلا الذليلان عبدُ السوء والوَدُ	ولا يقيم بدارِ الذل يألُفها
وذا يُشجُّ فلا يرثى (٤) له أحد	هذا على الخسف مربوط برمته

وقال آخر :

إذا كنتَ في دارٍ يهينُك أهلُها ولم تكْ مكبولاً بها فتَحَوَّلَ

وقال آخر :

لا تأسَقَنَّ على خِلٍّ تفارقُهُ	إن الأفاصِيَّ قد تدنو فتَأْتَلِفُ
فالناسُ مبتدلٌ والأرضُ واسعةٌ	فيها مجالٌ لذى لُبٍّ ومنصرفُ

وقال آخر :

إذا ما الحُرُّ هانَ بأرضِ قومٍ	فليس عليه في هَرَبٍ جُنَاحُ
وقد هُناَ بأرضِكُمُ وصرنا	لَقَى في الأرضِ تَذَرُوهُ الرياحُ

(١) هو العلامة المحدث إمام النحو أبو العباس أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني مولاهم البغدادي صاحب «الفصيح والتصانيف» ، ولد سنة مائتين ، سمع من إبراهيم بن المنذر ، ومحمد بن سلام الجمحي ، وابن الأعرابي وغيرهم ، وحدث عنه نفلويه ، ومحمد بن العباس اليزيدي والأخفش الصغير وغيرهم ، ثقة حجة مشهور بالحفظ له تصانيف كثيرة في النحو واللغة ، مات في جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين ومائتين . [سير أعلام النبلاء ١٤ / ٥ - ٧] .

(٢) يقصد إظهار الغفلة عن شرور الناس وأذاهم .

(٣) أحمد ٤٠٥ / ٥ .

(٤) في المخطوطة : « يأوى » ولعله خطأ من الناسخ .

وقال آخر :

فَدَعِ الدِّيَارَ وأسرع التَّحْوِيلَا
فِي مَنْزِلٍ يَدْعُ العَزِيزُ ذَلِيلَا

وَإِذَا الدِّيَارُ تَنَكَّرَتْ عَنْ حَالِهَا
لَيْسَ الْمَقَامُ عَلَيْكَ حَقًّا وَاجِبًا

وقال آخر :

تَيَمَّمْتُ أُخْرَى مَا عَلَى تَضْيِيقٍ
لَهُ فِي التَّقَى أَوْ فِي الْمَحَامِدِ سَوْقٍ
وَلَكِنْ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضْيِيقُ

وَكُنْتُ إِذَا ضَاقَتْ عَلَى مَحَلَّةٍ
وَمَا خَابَ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ عَامِلٌ
وَلَا ضَاقَ فَضْلُ اللَّهِ عَنْ مُتَعَفِّفٍ

وقال آخر :

فَدَعَهَا وَفِيهَا إِنْ أُرِدْتَ مَعَادَ

إِذَا كُنْتَ فِي دَارٍ فَحَاوَلْتَ رَحْلَةً

وقال آخر :

فَرَجُّ الشَّدَائِدِ مِثْلُ حَلِّ عَقَالٍ
فَاشْدُدْ عَلَيْكَ بِعَاجِلِ التَّرَحُّالِ
وَالْعَجْزُ أَفْعَى حِيلَةِ الْمُحْتَالِ

اصْبِرْ عَلَى حَدَثِ الزَّمَانِ فَإِنَّمَا
فَإِذَا خَشِيتَ تَعَذَّرَ فِي بَلَدِهِ
إِنَّ الْمَقَامَ عَلَى الْهَوَانِ مِثْلُهُ

وقيل :

نُزُوعُ نَفْسٍ إِلَى أَهْلِ وَأَوْطَانٍ
أَهْلًا بِأَهْلٍ وَجِيرَانًا بِجِيرَانٍ

لَا يَمْنَعُنْكَ خَفْضُ الْعَيْشِ فِي دَعَةٍ
تَلْقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ نَزَلْتَ بِهَا

وقال ابن عبد البر حين رحل من إشبيلية :

فقلت: صبراً وأسمعي القولَ مجملاً
وعاد زُعَافاً (٢) بعد ما كان سَلْسَلَا
وَلَا لَأَمَّتَهُ الدَّارُ أَنْ يَتَرَحَّلَا
إِذَا أَدْرَكَتَهُ الشَّمْسُ أَنْ يَتَحَوَّلَا
طَوِيلًا لِعَمْرِي مُخْلِقٌ يورِثُ الْبِلَا
وَلَمْ يَنَأْ عَنْهُمْ كَانَ أَعْمَى وَأَجْهَلَا
وَلَا غَرَّبَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِيَعْقَلَا

وقائلة : مَالِي أُرَاكَ مَرَحَلَا ؟
تَنَكَّرَ مَنْ كُنَّا نُسِرُّ بِقُرْبِهِ (١)
وَحَقُّ لَجَارٍ لَمْ يُوَافِقْهُ جَارُهُ
أَلَيْسَ بِحَزَمٍ مِنْ لَهُ الظِّلُّ مَقْعَدَا
بَلِيَّتٍ بِحِمَصٍ وَالْمَقَامُ بِبَلَدِهِ
إِذَا هَانَ حُرٌّ عِنْدَ قَوْمٍ أَتَاهُمْ
وَلَمْ تُضْرَبِ الْأَمْثَالُ إِلَّا لِعَالِمٍ

(١) في المخطوطة: « نُسِرَّ بِهِ » ، والمثبت من ر ، ط .

(٢) في المخطوطة : « وعاد عاقاً » ، والمثبت من ر ، ط .

قال ابن عبد البر : قيل للأوزاعي: رجل قَدَّمَ إلى ضيفه الكامخ (١) والزيتون وعندهم اللحم والعسلُ والسمن ؟ فقال : لا يؤمن هذا بالله ولا باليوم الآخر .

قال الشاعر:

طعّامى طعامُ الضيف والرحلُ رحلُهُ ولم يُلْهِنِي عنه غزال مُقَنَّعٌ
أَحَدُهُ إِنَّ الحَدِيثَ من القرى وتعلّمُ نفسى أَنَّهُ سوفَ يهجعُ

وقال آخر :

يستأنس الضيفُ فى أربابنا أبداً فليس يَعْلَمُ خَلَقَ أَيْنَا الضيفُ

وقال حسان :

يُعْشَوْنَ حتى ما تَهَرُّ كلابُهُمْ لا يسألون عن السَّوَادِ المقبلِ

وقال آخر :

وقد عَرَفْتُ كلابُهُمْ ثيابى كأنى منهم ، ونَسِيتُ أهلى

وقال آخر :

أَصَاحِكُ ضيفى قبل إنزال رحله ويُخَصِّبُ عندي والمحل جديبُ
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصيب

وقيل :

وضيفك قابله بِبِشْرِكَ وليكن له منك أبكارُ الحديثِ وعونهُ

وقيل :

تراهم خشية الأضياف خرساً يُصَلُّونَ الصَّلَاةَ بلا أذانِ

وقيل :

ذرينى فإنَّ الشُّحَّ يا أمَّ مالكٍ لصالح أخلاقِ الرجالِ سرُّوقُ
ذرينى وحظّى فى هوانى إننى على الحَسَبِ العالى الرفيع شفيقُ

فصل فى حب الفقر والموت والحذر من الدنيا

قال المروذى : قال أبو عبد الله : كأنك بالموت وقد فَرَّقَ بيننا ، أنا لا أعدلُ بالفقر شيئاً ، أنا أفرح إذا لم يكن عندى شيء ، إنى لأتمنى الموت صباحاً ومساءً أخافُ أن أُفْتَنَ فى الدنيا .

(١) الكامخ : نوع من الأدم معرَّب . اللسان ، مادة « كمخ » .

قال مسروق (١) . إنما تحفة المؤمن حفرته .

وقال إسحاق بن هانئ : قال أبو عبد الله : قال الحسن : أهينوا الدنيا ؛ فوالله لأهناً ما تكون حين تهان .

وقال أحمد أيضاً : الغنى من العافية . وقال له رجل : أوصنى ، قال : أعزَّ أمر الله حيثما كنت ، يُعزِّك الله .

وقال يحيى الجَلَّا : سمعت أحمد بن حنبل يقول : عزيزٌ علىَّ أن تُذيبَ الدنيا أكبادَ رجالٍ وعتَ صدورهمُ القرآنَ .

وقال إبراهيم بن هانئ : اختفى عندى أحمد بن حنبل ثلاث ليال ، ثم قال لى : اطلب لى موضعاً حتى أدور ، قلتُ : إنى لا آمن عليك يا أبا عبد الله ، فقال : النبى ﷺ اختفى فى الغار ثلاثة أيام ، وليس ينبغى أن تُتبعَ سنةُ رسول الله ﷺ فى الرخاء ، وتتركَ فى الشدة ! وطلبه المأمون فمات قبل أن يصل إليه .

قال صالح : قال أبى : وكنتُ أدعو الله ألا أراه ، فحدثنى أبى ، حدثنا معمر بن سليمان ، عن فرات بن سليمان ، عن ميمون عن مهران قال : ثلاثة لا تلبون نفسك بهن : لا تدخلنَّ على سلطان وإن قلت : أمره بطاعة ، ولا تدخلن على امرأة وإن قلت : أعلمها كتاب الله ، ولا تصغينَ سمعك لذى هوى ، فإنك لاتدرى ما يعلق قلبك منه .

قال صالح : سمعت أبى رحمه الله يقول : والله لقد أعطيتُ المجهود من نفسى ، ولوددتُ أنى أنجو من هذا الأمر كفافاً لا على ولا لى .

وروى الخلال ، عن محمد بن موسى ، عن أبى جعفر محمد بن زهير : أن رجلاً أتى أحمد فسأله عن شيء فأجابه ، فقال له : جزاك الله عن الإسلام خيراً ، فغضب وقال له : مَنْ أنا حتى يجزىنى الله عن الإسلام خيراً ؟ أنت فى غير حلٍّ من جلوسك .

وقال إبراهيم بن عبد الله عن أحمد : ما سمعت كلمة كانت أقوى لقلبى وأقرّ لعينى فى المحنة من كلمة سمعتها من فقير أعمى فى رحبة طوق قال لى : يا أحمد ، إن تهلك فى الحق مُتَّ شهيداً ، وإن عشتَ عشتَ حميداً .

(١) هو مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية بن عبد الله بن مرة بن سلمان بن معمر ، حدث عن أبى بن كعب ، وعمر ، وأبى بكر الصديق وابن مسعود ، وغيرهم ، وعنه الشعبى ، وإبراهيم النخعى ، ومكحول الشامى وغيرهم ، كان ثقة له أحاديث صالحة ، مات سنة اثنتين وستين . [سير أعلام النبلاء ٦٣/٤ - ٦٩] .

وقال إسحاق بن حنبل عم أحمد : يا أبا عبد الله ، قد أعذرت فيما بينك وبين الله تعالى ، وقد أجاب أصحابك ، واليوم بقيت في الحبس والشر ، فقال لى : يا عم ، إذا أجاب العالم تقيّة ، والجاهلُ بجهل ، فمتى يتبين الحق ؟ فأمسكت عنه .

وقال ابن المنادى : دخل أحمد بن داود الحداد على أبى عبد الله الحبس قبلَ الضرب ، فقال له فى بعض كلامه : يا أبا عبد الله ، عليك [رجال] (١) ، ولك صبيانٌ ، وأنت معذورٌ ، — كأنه يُسهّلُ عليه الإجابة — فقال له أحمد بن حنبل : إن كان هذا عقلك فقد استرحت .

وقال أبو جعفر الرازى : كان إسحاق بن إبراهيم يقول : أنا والله رأيتُ يومَ ضُربَ أحمد وقد ارتفع من بعد انخفاضه ، وانقعد من بعد انحلاله ، ولم يفتن لذلك لذهول عقلٍ من حضره ، وما رأيتُ يوماً كان أعظم من ذلك اليوم .

وقال الحسن بن الصباح البزّار أحد الأئمة الأعلام : حدثنا سيدنا وشيخنا أحمد بن حنبل . وقال : قد كان ها هنا أحمد بن حنبل وبشر بن الحارث وكنا نرجو أن يحفظنا الله تعالى بهما ، إنهما ماتا وبقي سريّ ؛ فإني أرجو أن يحفظنا الله بسرى .

وقد قال أبو الفضل الحسن بن محمد بن أعين : سمعت أحمد بن حنبل يقول : لولا بشرٌ — يعنى الحافى — وما نرجوه من استغفاره لنا ، لكنا فى عُضلة .

وقال أبو زرعة : قلت لأحمد بن حنبل : كيف تخلصت من سيف المعتصم وسوط اللواتق؟ فقال : لو وُضعَ الصدقُ على جرح لبرى .

وقال خلف : جاءنى أحمد بن حنبل يسمع حديث أبى عوانة ، فاجتهدتُ أن أرفعه ، فأبى وقال : لا أجلس إلا بين يديك ، أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه .

وقال محمد بن محمد بن عمر أبو الحسن العطار : إنه رأى أحمد بن حنبل أخذ لداود بن عمر بالركاب ، ذكره الحافظ تقي الدين بن الأخصر فيمن روى عن أحمد .

وذكر أيضاً أن أحمد بن سعيد الرباطى (٢) — لأنه تولّى الرباطات فنُسبَ إليها — قال : سمعتُ أحمد بن حنبل يقول : أخذنا هذا العلم بالذل فلا ندفعه إلا بالذل .

وقال الرباطى : قدمتُ على أحمد بن حنبل فجعل لا يرفعُ رأسه إلىّ ، فقلتُ : يا أبا عبد الله ، إنه يُكتبُ عنى بخراسان ، وإن عاملتنى بهذه المعاملة رمواً بحديثي ، فقال لى أحمد :

(١) فى المخطوطة : « عيال » ، وما أثبتاه من أ ، ر ، ط ، وهو أوفق للسياق .

(٢) هو الإمام الحافظ الحجة أمير الرباط أبو عبد الله أحمد بن سعيد بن إبراهيم الرباطى الأشقر ، سمع من وكيع ، وعبد الرزاق ، ووهب بن جرير ، وغيرهم وحدث عنه : البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، وآخرون ، وهو من الأئمة المقتدى بهم ، توفى سنة خمس وأربعين ومائتين . [سير أعلام النبلاء ٢٠٧/١٢ — ٢٠٩] .

وهل بُدَّ يوم القيامة أن يقال : أين عبد الله بن طاهر وأتباعه ؟ انظر أين تكون منهم ؟
فقلت : يا أبا عبد الله ، إنما ولاني أمر الرباط ، لذلك دخلت ، قال : فجعل يكرر ذلك على

وينبغي أن يخفض صوته عنده . قال الشيخ تقي الدين : مَنْ رفع صوته على غيره ، عَلمَ كُلُّ عاقلٍ أنه قلة احترام له ، انتهى كلامه .

ولما رفع صوته سعدٌ على أبي جهل قال له بعض قريش : لا ترفع صوتك على أبي الحكم . وقد قال تعالى : ﴿ وَاعْظُضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴾ [لقمان : ١٩] . أى : انقص منه ، ومنه قوله : غضضتُ بصرى ، وفلانٌ يَعْضُّ بصره من فلان . ﴿ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ ﴾ [لقمان : ١٩] . أى : أقبح . تقول : أتانا فلان بوجه منكّر : أى قبيح .

وقال المبرد (١) : تأويله أن الجهرَ بالصوت ليس بمحمود ، وأنه داخل فى باب الصوت المنكر .

وقال ابن قتيبة (٢) : عَرَفَهُ قُبْحُ رَفْعِ الْأَصْوَاتِ فى المَخَاطَبَةِ بِقُبْحِ أَصْوَاتِ الْحَمِيرِ ؛ لأنها عالية .

قال ابن زيد : لو كان رفعُ الصوتِ خيراً ما جعله الله للحمير . وقال سفيان الثوري : صياحُ كل شيء تسبيحٌ لله إلا الحمار ؛ فإنه ينهق بلا فائدة ، ذكر ذلك ابن الجوزي وغيره .

وقال ابن عقيل فى « الفنون » : مما وجدته فى آداب أحمد رضى الله عنه أنه كان مستنداً ، وذكر عنده ابن طهمان (٣) ، فأزال ظهره عن الاستناد ، وقال : لا ينبغي أن يجرى ذكرُ الصالحين ونحن مستندون . قال ابن عقيل : فأخذت من هذا حُسْنَ الأدب فيما يفعله الناسُ عند إمام العصر من النهوض لسماع توقعاته . وقد ذكر هذا الحافظ ابن الأثير فىمن روى عن

(١) هو إمام النحو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري النحوي الأخباري صاحب «الكامل»، أخذ عن عثمان المازني ، وأبى حاتم السجستاني ، وأخذ عنه أبو بكر الخرائطي ، ونفطويه ، وسهل القطان وآخرون ، كان إماماً علامةً جميلاً مفوهاً ، له تصانيف كثيرة ، مات سنة ست وثمانين ومائتين . [سير أعلام النبلاء ٥٧٦/١٣ ، ٥٧٧] .

(٢) هو العلامة الكبير ذو الفنون أبو محمد عبد الله بن سلام بن قتيبة الدينوري ، الكاتب صاحب التصانيف ، حدث عن إسحاق بن راهويه ، وأبى حاتم السجستاني وغيرهما ، وحدث عنه عبيد الله السكري ، وابن درستويه وغيرهما كان ثقةً ديناً فاضلاً ، له مؤلفات كثيرة منها طبقات فحول الشعراء ، عيون الأخبار وغيرها كثير ، مات سنة ست وسبعين ومائتين . [سير أعلام النبلاء ٢٩٦/١٣ - ٣٠٢] .

(٣) إبراهيم بن طهمان بن شعبة الإمام عالم خراسان أبو سعيد الهروي . ولد فى آخر زمن الصحابة الصغار ، حدث عن ثابت البناني ، وسماك بن حرب ، وغيرهما ، وحدث عنه صفوان بن سليم ، وأبو حنيفة وغيرهما ، وثقه ابن المبارك ، مات سنة ثلاث وستين ومائة . [سير أعلام النبلاء ٣٧٨/٧ - ٣٨٥] .

وكان متكئاً من عِلَّةٍ فاستوى جالساً وقال : لا ينبغي أن نذكر الصالحين فتكئ .

وقال الشافعي : لا يطلب هذا العلم أحدٌ بالملك وعِزَّة النفس فيفلح ، لكن مَنْ طلبه بذلة النفس ، وضيق العيش ، وخدمة العلم ، وتواضع النفس أفلح .

وقال أبو توبة البغدادي : رأيت أحمد بن حنبل عند الشافعي في المسجد الحرام فقلت له : يا أبا عبد الله ، هذا سفيان بن عيينة في ناحية المسجد يحدث ، فقال : هذا يفوت وذاك لا يفوت .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما قبض رسول الله ﷺ قُتِلَ لرجلٍ من الأنصار : هلمَّ فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم اليوم كثير ، قال : واعجباً لك يا ابن عباس أتري الناس يفتقرون إليك ، وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ مَنْ فيهم ؟ قال : فترك ذلك ، وأقبلتُ أنا أسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن الحديث ، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فاتى بابه وهو قائلٌ فأتوسدُ ردائي على بابه تُسْفى الريحُ على من التراب فيخرج فيقول : يا ابن عم رسول الله ﷺ ، ما جاء بك ؟ ألا أرسلتُ إليَّ فأتيك ؟ فأقول : أنا أحقُّ أن أتيك ، فأسأله عن الحديث ، قال : فعاش ذلك الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولى فيقول : هذا الفتى كان أعقل مني .

وفى « الصحيحين » أن رسول الله ﷺ قرأ على أبي بن كعب : ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سورة البينة] . وأن الله أمره بذلك (١) .

قال بعضهم : قرأ عليه لتعليمه ، وقال بعضهم : ليس التواضع في أخذ الإنسان من العلوم عن أهلها ، وإن كانوا دونه في النسب والدين والفضيلة والمرتبة والشهرة وغير ذلك ، ولينبه الناس على فضيلة أبي وتقديمه فيجتهدون في الأخذ عنه ، وإنما خص هذه السورة لاقتضاء الحال الاختصار مع أنها جامعة .

وكان على بن الحسين زين العابدين يدخل المسجد ، فيشقُّ الناسَ حتى يجلسَ في حلقة زيد بن أسلم ، فعُوتِبَ في ذلك ، فقال : إن العلم يُتَغى ويؤتى ويطلب من حيث كان .

وكان عروة بن الزبير يقول لبنيه : إنا كنا صغاراً قومٌ وإنا اليوم كبار ، وإنكم ستكونون مثلنا إن بقيتم ، ولا خير في كبير لا علمَ عنده .

وقال عبد الملك بن عمير (٢) : لقد رأيت عبد الرحمن بن أبي ليلى في حلقة فيها نفر من

(١) البخارى فى التفسير ، ب سورة ﴿لَمْ يَكُنِ﴾ (٤٩٥٩ ، ٤٩٦٠) ، ومسلم فى صلاة المسافرين وقصرها ، ب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل والحقاق فيه (٢٤٥/٧٩٩ ، ٢٤٦) .

(٢) عبد الملك بن عمير بن سويد بن حارثة القرشى ، رأى علياً وأباً موسى الأشعرى ، حدث عن جندب البجلي ، وجابر بن سمرة والنعمان بن بشير وغيرهم ، حدث عنه شعبة والثورى ومسعر ، وخلق كثير ، اختلف فى توثيقه ، مات سنة ست وثلاثين ومائة فى ذى الحجة . [سير أعلام النبلاء ٤٣٨/٥ - ٤٤١] .

الصحابة يستمعون لحديثه وينصتونه له ، منهم البراء بن عازب .

وعن الأصمعي قال : من لم يحمل ذلَّ التعلم ساعة ، بقى فى ذلَّ الجهل أبداً .

وقال عبد الله بن المعتز ^(١) : المتواضع فى طلب العلم أكثرهم علماً ، كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماء . وقد نظم هذا أبو عامر النسوى ^(٢) فقال :

العلمُ يأتى كلَّ ذى خَفُضٍ ، ويأبى كُلَّ أبى
كالماء ينزلُ فى الوها د ، وليس يصعدُ فى الروابى

وكذلك ينبغى أن يتَّحَمَلَ الطالبُ ما يكون من الشيخ أو من بقية الطلبة لثلافتي العلم ، ففتوته الدنيا والآخرة ، مع حصول العدو طلبه . وشماتة الأعداء من الأربعة المأمور بالاستعاذة منهن فى « الصحيحين » فى قوله عليه السلام : « تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ ، وَدَرْكِ الشَّقَاءِ ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ » ^(٣) وقد قيل :

لمحبرةٌ تُجالسنى نهارى أحبُّ إلى من أنسِ الصَّدِيقِ
ورزمةٌ كاغد فى البيت عندى أعزُّ إلى من عدلِ الدَّقِيقِ
ولطمةٌ عالم فى الخدِّ منى أَلَذُّ إلى من شرب الرحيقِ

وقال الشافعى : غضب الأعمش يوماً على رجل من الطلبة فقال آخر : لو غضب على مثلك لم أعدُ إليه ، فقال له الأعمش : إذاً هو أحقُّ مثلك ، يترك ما ينفعه لسوءِ خلقي ، ذكره البيهقى .

فصل فى الوحدة والعزلة والتواضع فى سيرة أحمد

قال عبد الله : كان أبى أصبر الناس على الوحدة ، وقال : لم يرَ أحدٌ أبى إلا فى مسجد ، أو حضور جنازة ، أو عيادة مريض ، وكان يكره المشى فى الأسواق . وقال الميمونى عنه : رأيتُ الوحدة أروحَ لقلبي .

(١) هو عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسى ولد سنة سبع وأربعين ومائتين ، الشاعر المبدع ، له تصانيف كثيرة فى الأدب منها الجامع فى الغناء ، الزهر والرياض ، وله ديوان شعر ، مات سنة ستة وتسعين ومائتين هجرية . [الأعلام ٤ / ١١٨ ، ١١٩] .

(٢) هو الحسن بن سفيان بن عامر بن عبد العزيز بن النعمان بن عطاء ، الإمام الحافظ الثبت أبو العباس الشيبانى الخراسانى النسوى ، صاحب المسند ، ولد سنة بضع وثمانين ومائتين ، روى عن أحمد بن حنبل ، وإبراهيم بن يوسف البلخى ، وخلق كثير ، حدث عنه ابن خزيمة ، ويحيى بن منصور القاضى وغيرهما ، ثقة صدوق ، مات فى رمضان سنة ثلاث وثلاثمائة . [سير أعلام النبلاء ١٤ / ١٥٧ - ١٦٢]

(٣) البخارى فى القدر ، ب من تعوذ بالله من درك الشقاء ، وسوء القضاء (٦٦١٦) ، ومسلم فى الذكر والدعاء ، ب فى التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره (٥٣ / ٢٧٠٧) كلاهما عن أبى هريرة .

وقال المروذي : ذكرت لأبي عبد الله عبد الوهاب على أن يلتقيا ، فقال : أليس قد كره بعضهم اللقاء ؟ وقال : يتزين لي وأتزين له ، وكفى بالعزلة علماً ، والفقيه الذي يخاف الله .
وقال لي أبو عبد الله : قل لعبد الله (١) أحمل ذكرَكَ ، فإنني أنا قد بُليتُ بالشهرة .
وقال غيره : عن أحمد : طوبى لمن أحملَ الله ذكرَهُ . ونقل غيره عن أحمد أنه قال :
أشتهي ما لا يكون ، أشتهي مكاناً لا يكون فيه أحدٌ من الناس .
وقال أبو عبد الله أحمد بن محمد المَسِيبي : [قلت] (٢) لأبي عبد الله : إني أحب أن آتيكَ فأسلمَ عليك ، ولكن أخاف أن يُكرهَ الرجل ؟ فقال : إنا لنكره ذلك .
وقال الأثرم (٣) : سمعت الهيثم بن خارجة (٤) قال لأبي عبد الله : أنت عروسٌ تُزارُ ولا تزور .

ومن نظر في سيرة أبي عبد الله وترجمة ما سبق وما يأتي وما لم نذكره وجد همته في الخيرات والطاعات من أعلى الهمم ، وأنه يصدق عليه ما رواه الحاكم في « تاريخه » عن الأصمعي : أن دغلاً دخل على معاوية فقال له : أي بيت أفخر ؟ قال قول الشاعر :

له هممٌ لا مُتتهى لكبارها وهمته الصغرى أجلُّ من الدهر
له راحةٌ لو أن معشارَ جودها علي البر كان البرُّ أندي من البحر

وقال صالح : كان أبي إذا دعا له رجل يقول : الأعمال بخواتيمها .

وقال عامر للإمام أحمد : يا أبا عبد الله ، بلغني أنك رجل من العرب ، فمن أي العرب أنت ؟ فقال لي : يا أبا النعمان نحن قوم مساكين ، وما نصنع بهذا ؟ فكان ربما جاءني أريده على أن يخبرني فباعد عليّ مثل ذلك الكلام ولا يخبرني بشيء .
وقال عبد الله بن الرومي : كنت كثيراً ما أرى أبا عبد الله أحمد بن حنبل — يعني وهو بالبصرة — يأتي إلى مسجد بني مازن فيصلي فيه ، فقلت له : يا أبا عبد الله ، إني أراك كثيراً تصلي في هذا المسجد ، قال : إنه مسجد آبائي .

(١) في المخطوطة : « لعبد الوهاب » .

(٢) ساقطة من المخطوطة ، وهي في أ ، ر ، ط .

(٣) هو الإمام المقرئ المحدث أبو العباس محمد بن أحمد بن حماد بن إبراهيم البغدادي الأثرم ، ولد سنة أربعين ومائتين ، سمع من الحسن بن عرفة ، وحميد بن الربيع وغيرهما ، حدث عنه ابن المظفر ، والدارقطني وغيرهما ، مات بالبصرة سنة ست وثلاثين وثلثمائة . [سير أعلام النبلاء ٣٠٣/١٥ ، ٣٠٤] .
(٤) الهيثم بن خارجة أبو أحمد . ويقال : أبو يحيى المروذي البغدادي الحافظ حدث عن مالك ، والليث ، ويعقوب القمي وآخرون ، وحدث عنه : أحمد بن حنبل وعباس الدوري ، والبخاري وآخرون ، قال يحيى بن معين : ثقة ، مات في ذي الحجة سنة سبع وعشرين ومائتين . [سير أعلام النبلاء ٤٧٧/١٠ — ٤٧٩] .

وقال الخلال : حدثنا المروذى : قال : حضرت أبا ثور سئل عن مسألة فقال : قال أبو عبد الله إمامنا ، أو قال شيخنا أحمد بن حنبل فيها كذا وكذا ، فجعل السائل يدعو له ولم يسأله عن رأيه . فلما مضى التفت إلينا فقال : هذا لو أخبرته عن رأى لكان - يعنى يطول - فحيث قلت له : أحمد بن حنبل مرَّ وسكت . وجاء رجل إلى أبى عبد الله فقال : إن لى والددة مقعدة تسألك أن تدعو الله لها ، قال : فغضب ، وقال : كيف قصدتني ؟ قل لوالدتك تدعو لى ، هذه مبتلاة ، وأنا معافى . ثم دعا لها ، وعوفيت .

وجاء رجل إلى أبى عبد الله من سمرقند بكتاب عبيد الله بن عبد الرحمن يجعل له مجلسا ، فأهدى إلى أبى عبد الله يوماً ثوباً فأعطاه رجلاً ، فقال : اذهب به إلى السوق فقَوِّمُهُ ، فذهب فجاء نيف وعشرون درهماً ، فحجبه أبو عبد الله حتى اشترى له ثوبين ومقنعة ، أو ثوباً ومقنعة وبعث به إليه ثم أذن له فحدثه . وقال عبد الله : رأيت أبى إذا اختفى ، أكثر ذلك يقرأ القرآن .

وقال الأثرم : ربما يترك أصحاب أحمد بن حنبل أشياء ليس لها تبعة عند الله مخافة أن يعيروا بأحمد بن حنبل رضى الله عنه .

وقال أحمد بن الحسن الترمذى : رأيت أبا عبد الله يشتري من السوق الخبز ويحمل بنفسه فى الزنبيل ، ورأيتة يشتري الباقلاء غير مرة ويجعله فى زبدية أو شىء آخر فيحمله وهو أخذ بيد عبد الله ابنه . وقال صالح : كان أبى ربما خرج إلى البقال فيشتري جرزة حطب فيحملها .

وقال الخلال : أخبرنا المروذى : سمعت أبا عبد الله يقول : كان يحيى بن يحيى قد أوصى لى بِجَبَّةٍ قال : ففرحتُ بها وأردتُ أنْ آخذها ، قال : وكانت أعجبتنى الجبة فقلت : رجلٌ صالح وقد صلَّى فيها ، قال : فجاءوا بها ومعها شىء آخر فرددته كله .

وقال الفضل بن زياد عن أحمد بن حنبل : ما أعظمَ بركةَ المغزل .

وقال المروذى : سمعت أبا عبد الله يقول : الخوفُ منعى أنْ أَكَلَ الطعامَ والشرابَ فما أَشْتَهيه .

وقال الخلال : أخبرنى أبو بكر بن صدقة ^(١) : سمعت محمد بن عبد الرحمن الصيرفى قال : أتيتُ أحمدَ بن حنبل أنا وعبد الله بن سعيد الحمال ، وذلك فى آخر سنة المائتين ، فقال

(١) هو الإمام الحافظ المتقن الفقيه أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله بن صدقة البغدادى ، حدث عن : أحمد ابن حنبل ، وإسماعيل بن مسعود الجحدري ، ومحمد بن مسكين اليماني وآخرون ، حدث عنه : أبو بكر الشافعى ، وسليمان الطبراني وغيرهما ، كان نقلاً ثبناً ، توفى سنة ثلاث وتسعين ومائتين . [سير أعلام النبلاء ٨٣/١٤ ، ٨٤] .

أبو عبد الله لعبد الله بن سعيد : يا أبا محمد ، إنَّ أقواماً يسألونى أنْ أحدث ، فهل ترى ذلك؟ قال : فسكت أبو عبد الله وأطال السكوت ، قال : فقلت أنا لأبى عبد الله : أجيبك أنا؟ قال : تكلم ، قال : قلت له : إنْ كنتَ تشتهى أنْ تحدث فلا تحدث ، وإنْ كنت تشتهى ألا تحدث فحدث . قال : فكأن أبا عبد الله استحسَن ذلك . قال فلما انبسط فى الحديث قال : فظننت أنه كان لا يشتهى أن يحدث .

وقيل لبشر بن الحارث : يا أبا نصر ، الرجلُ يكون عنده علم من القرآن فترى له أن يجلس فيعلم الناس ؟ قال : إنْ كان يُحبُّ ذلك ، فلا يجلس .

فصل الخوف والرجاء وما قيل فى تساويهما وعدمه

قال الإمام أحمد رضى الله عنه : سبحانهك ، ما أغفل هذا الخلق عما أمامهم ؛ الخائفُ منهم مُقَصِّرٌ ، والراجى متوانٍ .

وقال المروذى : سمعت الإمام أحمد قال : الخوفُ منعنى عن أكلِ الطعام فما أشتيهه ، فإذا ذكرتُ الموتَ هان علىَّ كل شيءٍ وقد تقدم .

وقال إبراهيم الحربى : سمعت أحمد يقول : إنْ أحببتَ أنْ يدومَ اللهُ لك على ما تحب ، فَدُمْ له على ما يحب . والخيرُ فيمن لا يرى لنفسه خيراً .

وروى الحاكم فى « تاريخه » عن وكيع : سمعت سفيان يقول : لا يتقى الله أحدٌ إلا اتقاه الناسُ شأؤوا أم أبوا .

وعن عبد الرحمن بن بشر بن الحكم العالم ابن العالم ابن العالم ، قال : سمعت سفيان ابن عيينة يقول : مَنْ استغنى بالله أحوجَ الله عزَّ وجل إليه الناس .

وقال ابن هانئ : قال لى أبو عبد الله : ينبغى للمؤمن أن يكون رجاءه وخوفه واحداً ، قال غيره عنه : فأيهما رجح صاحبه هلك . انتهى كلامه .

وينبغى أن يكون رجاء المريض أكثر ، وقطع به صاحب « النظم » . وقال أحمد لرجل : لو صححت ما خفت أحداً . وقد قيل :

فما فى الأرض أشجعُ من برىءٍ ولا فى الأرض أخوفُ من مريبٍ

قال ابن عبد البر فى كتاب « بهجة المجالس » : كان يقال : مَنْ خاف الله ورجاه أمته خوفه ، ولم يَحْرِمْهُ رجاءه . قال بعض العلماء إلى بعض إخوانه : أما بعد فإنه مَنْ خاف الله ، أخافَ الله منه كل شيء ، وَمَنْ لم يخفِ الله ، أخافَهُ الله من كل شيء . وللحسن بن وهب

وينسب إلى الشافعي رضي الله عنه والله أعلم :

خَفِ اللّٰهَ وَارْجُوهُ لِكُلِّ عَظِيمَةٍ
وَكُنْ بَيْنَ هَاتَيْنِ مِنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَا
فَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي

وَلَا تُطْعِ النَّفْسَ اللَّجُوجَ فَتَنْدَمَا
وَأُبَشِّرْ بِعَفْوِ اللّٰهِ إِنْ كُنْتَ مُسْلِمًا
جَعَلْتَ الرَّجَا مِنِّي لِعَفْوِكَ سُلْمًا

وقال آخر :

وإني لأرجو اللهَ حتى كأنما
وقال منصور الفقيه :

أرى بجميل الظَّنِّ ما الله صانعُ

قَطَعْتُ رَجَائِي مِنْ بَنِي آدَمَ طُرًّا
وَعَدَلًا يَأْسَى بَيْنَهُمْ ، فَأَجَلَّهُمْ
غَنَى عَنْهُمْ بِاللّٰهِ ، لَا مَتَطَاوَلًا
وَكَيْفَ يَغِيبُ النَّاسَ بِالْمَنْعِ مُؤْمِنٌ
عَلَيْهِ اتِّكَالِي فِي الشَّدَائِدِ كُلِّهَا

فَأَصْبَحْتُ مِنْ رِقِّ الرَّجَاءِ لَهُمْ حُرًّا
إِذَا ذُكِرُوا قَدَرًا كَأَدْنَاهُمْ قَدَرًا
عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ ، وَلَا قَاتِلًا هُجْرًا
يَرَى النَّفْعَ مَنْ يَمْلِكُ النَّفْعَ وَالضَّرًّا
وَحَسْبِي بِهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ لِي ذُخْرًا

وأنشد بعضهم وهو عبد الله بن محمد بن يوسف (١) رحمه الله تعالى :

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفٌ
يَخَافُ ذَنْبًا لَمْ يَغِبْ عَنْكَ غَيْبَهَا
فَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْجَى سِوَاكَ وَيُتَقَى
فِيَا سَيِّدِي لَا تُخْزِنِي فِي صَحِيفَتِي
وَكُنْ مُؤْنَسِي فِي ظِلْمَةِ الْقَبْرِ عِنْدَمَا
لَنْ ضَاقَ عَنِّي عَفْوُكَ الْوَاسِعَ الَّذِي

عَلَى وَجَلٍ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفٌ
وِيرْجُوكَ فِيهَا فَهُوَ رَاجٍ وَخَائِفٌ
وَمَا لَكَ فِي فَصْلِ الْقَضَاءِ مُخَالَفٌ
إِذَا نُشِرَتْ يَوْمَ الْحِسَابِ الصَّحَائِفُ
يَصْدُ ذُووُ الْقُرْبَى وَيَجْفُو الْمَوَالِفُ
أُرْجَى لِإِسْرَافِي فَإِنِّي لَتَالِفٌ

فصل في طلب العلم ، وما يبدأ به منه ، وما هو فريضة منه ، وفضل أهله

قال الميموني : سألت أبا عبد الله : أيهما أحبُّ إليك أبدأُ ابني بالقرآن أو بالحديث ؟ قال :
لا ، بالقرآن . قلتُ : أعلمه كله ؟ قال : إلا أن يعسر ، فتعلمه منه . ثم قال لي : إذا قرأ

(١) هو الإمام الحافظ البارع الثقة أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر القرطبي بن الفرضي ،
مصنف تاريخ الأندلسيين ، أخذ عن أبي جعفر بن عون الله ، وعبد الله بن القاسم ، وعباس بن أصبغ ،
وغيرهم ، حدث عنه : أبو عمر بن عبد البر وقال : كان فقيها حافظاً وله مصنفات كثيرة ، قتل سنة ثلاث
وأربع مائة كهلاً . [سير أعلام النبلاء ١٧ / ١٧٧ - ١٨٠] .

أولاً تَعَوَّدَ القراءةَ ثم لزمها . وعلى هذا أتباع الإمام أحمد عملاً إلى زمننا هذا . وسيأتي قريباً قول ابن المبارك : إِنَّ الْعِلْمَ يُقَدَّمُ عَلَى نَفْلِ الْقُرْآنِ ، وهذا مُتَعَيِّنٌ إِذَا كَانَ مُكَلَّفًا ؛ لِأَنَّهُ فَرَضٌ فيقدم على النفل . وكلامُ أحمد - والله أعلم - إنما هو في الصغير كما هو ظاهر السياق ، والذي سأل ابن المبارك كان رجلاً فلا تعارض .

وأما الصغير فيقدم حفظ القرآن لما ذكره أحمد من المعنى ، ولأنه عبادةٌ يمكن إدراكها والفراغ منها في الصغر غالباً ، والعلمُ عبادةُ العمر لا يفرغ منه فيجمع بينهما حسب الإمكان ، وهذا واضح وقد يحتمل أن يكون العلمُ أولى لمسيِّر الحاجة إليه لصعوبته وقلة مَنْ يعتنى به بخلاف القرآن ، ولهذا يقصر في العلم مَنْ يجب عليه طلبه ، ولا يقصر في حفظ القرآن حتى يشتغل بحفظه مَنْ يجب عليه الاشتغال في العلم كما هو معلوم في العرف والعادة .

وقال ابن هانئ لأحمد : ما معنى : « لو كان القرآنُ في إهابٍ ما مَسَّتْهُ النارُ » ؟ (١) قال : هذا يُرْجَى لِمَنْ الْقُرْآنُ فِي قَلْبِهِ أَلَّا تَمَسَّهُ النَّارُ « في إهاب » يعنى في قلب رجل ، وقال أيضاً : في جلد .

وقال إسماعيل الشالنجي (٢) : عن أبي عبد الله قال : والذي يجب على الإنسان من تعلُّم القرآن والعلم ما لأبد له منه في صلاته وإقامته دينه ، وأقلُّ ما يجبُ على الرجل من تعلم القرآن فاتحة الكتاب وسورتان كذا وجدته ، ولعلَّه وسورة ، وإلا فلا أدري ما وجهه ؟ مع أنه إنما يجب حفظه ما بلغ أن يجزئه في صلاته وهو الفاتحة خاصة في الأشهر عن أحمد ، والمسألة معروفة في الفقه .

وقد قال ابن حزم في « الإجماع » قبل السبق والرمى : اتفقوا على أن حفظَ شيءٍ من القرآن واجبٌ ولم يتفقوا على ماهية ذلك الشيء ولا كميته بما يمكن ضبط إجماع فيه ، إلا أنهم اتفقوا على أنه من حفظ أم القرآن بسم الله الرحمن الرحيم كلها وسورة أخرى معها ، فقد أدى فرضَ الحفظ ، وأنه لا يلزمه أكثر من ذلك . واتفقوا على استحباب حفظ جميعه ، وأنَّ ضبطَ جميعه واجبٌ على الكفاية لا متعين .

وروى الخلال عنه أنه سئل عن رجل حفظ القرآن وهو يكتب الحديث يختلف إلى مسجد يقرأ ويقرئ ويفوته الحديث أن يطلبه ، فإنَّ طَلَبَ الحديث ، فاته المسجد ، وإن قصد المسجد ،

(١) أحمد ١٥١/٤ .

(٢) هو أبو إسحاق إسماعيل بن سعيد الشالنجي الكسائي الجرجاني إمام فاضل ، صنف كتباً في الفقه وغيره ، روى عن : محمد بن الحسن الفقيه وابن عيينة ، ويحيى القطان ، وغيرهم وروى عنه : الضحاك بن الحسين الأزدي ، والحسين بن علي الآملي ، وغيرهما ، مات سنة ثلاثين ومائتين ، وقيل : سنة ست وأربعين ومائتين . . [الباب ١٧٦/٢ ، ١٧٧] .

فاته الحديث ، فما تأمره ؟ قال : بهذا وبذا ، فأعدتُ عليه القولَ مراراً كل ذلك يجيبني جواباً واحداً : بهذا وبذا .

وسأل رجل ابن المبارك : يا أبا عبد الرحمن ، فى أى شىء أجعلُ فضْلَ يومى : فى تعلُّم القرآن أو فى تعلم العلم ؟ فقال : هل تحسن من القرآن ما تقوم به صلاتك ؟ قال : نعم . قال : عليك بالعلم .

وقال أحمد فى رواية أحمد بن الحسين وقيل له : طلب العلم فريضة ؟ قال : نعم ؛ لأمر دينك وما تحتاجُ إليه من أن ينبغى أن تعلمه .

وقال فى رواية أبى الحارث : يجب عليه أن يطلب من العلم ما يقوم به دينه ولا يفرط فى ذلك ، قلت : فكل العلم يقوم به دينه ؟ قال : الفرض الذى يجب عليه فى نفسه لا بد له من طلبه . قلت : مثل أى شىء ؟ قال : الذى لا يسعه جهله : صلاته وصيامه ونحو ذلك .

وقال عبد الله : سألت أبى عن الرجل يجب عليه طلب العلم ؟ قال : أما ما يقيمُ به دينه من الصلاة والزكاة ، وذكر شرائع الإسلام فقال : ينبغى أن يتعلَّم ذلك . وقال ابن منصور لأبى عبد الله : تذكُرُ بعضَ ليلة أحب إليك من إحيائها ؟ قال : العلم الذى ينتفع به الناس فى أمر دينهم . قلت : الصلاة والصوم والحج والطلاق ونحو هذا ؟ قال : نعم .

قال ابن منصور : قال لى إسحاق بن راهويه : « طلب العلم واجب » لم يصحَّ الخبرُ فيه ، إلا أن معناه قائم يلزمه طلب ما يحتاج إليه من وضوئه وصلاته وزكاته إذا وقعت ، فلا حاجة للوالدين فى ذلك . وأما من خرج يبتغى علماً فلا بدَّ له من الخروج بإذن الأبوين ؛ لأنه فضيلة ، فالنوافل لا تبتغى إلا بإذن الآباء .

وقال المروذى لأبى عبد الله : الرجل يطلب العلم ويستأذن والدته فتأذن له وهو يعلم أن القيام أحب إليها ؟ قال : إذا كان جاهلاً لا يدرى كيف يطلق ولا يصلى ، فطلب العلم أحب إلى .

وإن كان قد عرف فالقيام عليها أحب إلى . وروى الخلال عنه أن رجلاً سأله : إنى أطلب العلم وإن أُمى تمنعنى من ذلك تريدُ حتى أشتغل فى التجارة ، قال لى : دارها وأرضها ، ولا تدع الطلب .

وقال له رجلٌ غريب عن بلده : طلب العلم أحب إليك أم أرجع إلى أُمى ؟ فقال له : إذا كان طلب العلم مما لا بد أن تطلبه ، فلا بأس .

وسأله رجل : قدمت الساعة وليس أدرى شيئاً ، ما تأمرنى ؟ فقال أبو عبد الله : عليك بالعلم .

وقال إسحاق بن إبراهيم : سألت أبا عبد الله عن الرجل يكون له أبوان موسران يريد طلب الحديث ولا يأذنان له ؟ قال : يطلب منه بقدر ما ينفعه ، العلم لا يعدُّه شىء .

وفى « الصحيحين » عن معاوية مرفوعاً : « مَنْ يُرِدَ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » (١) .
وعن عمر مرفوعاً : « إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْعِلْمِ أَقْوَاماً وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ » (٢) . وعن أبى هريرة
مرفوعاً : « مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَبْتَغِي بِهِ عِلْماً سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ » (٣) رواهما مسلم .
وقال ابن مسعود : إن أحذكم لم يولد عالماً ، وإنما العلم بالتعلم . وقال أيضاً : اغدُ عالماً
أو متعلماً ، ولا تغدُ إمعة بين ذلك .

وقال أيضاً : اغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ، ولا تكن الرابع فتهلك .

وقال حماد بن حميد عن الحسن : قال أبو الدرداء : كن عالماً أو متعلماً أو محباً أو متبعاً ،
ولا تكن الخامس فتهلك . قال الحسن : هو المبتدع . قال البيهقي : وروى مثله عن ابن
مسعود ، وروى مرفوعاً ، وهو ضعيف .

وقال أبو الدرداء : العالم والمتعلم فى الأجر سواء ، وسائر الناس همج لا خيرَ فيهم .

وقال الثورى : عن الأعمش ، عن أبى وائل ، عن ابن مسعود : تعلموا فإن أحذكم لا
يدرى متى يحتاج إليه .

وقال عبد الرزاق : عن أيوب ، عن أبى قلابة ، عن ابن مسعود قال : عليكم بالعلم قبل
أن يُقبَضَ ، وقبضهُ ذهابُ أهله ، وعليكم بالعلم وإياكم والتقطع والتعمق ، وعليكم بالعتيق ،
فإنه سيجىء أقوام يتلون كتابَ الله وينذونه وراء ظهورهم .

وقال الحسن : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّمَا مَثَلُ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ مَثَلُ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ
إِذَا رَأَاهَا النَّاسُ اقْتَدَوْا بِهَا ، وَإِذَا غَمِيتَ عَلَيْهِمْ تَحِيرُوا » (٤) .

وعن أبى أمانة مرفوعاً : « فَضْلُ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ عَلَى أَدْنَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ
وَمَلَائِكَتَهُ ، وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جَحْرِهَا ، وَحَتَّى الْحَوْتُ لِيُصَلُّوا عَلَى
مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ » رواه الترمذى وقال : حسن صحيح غريب (٥) .

وعن أبى الدرداء مرفوعاً : « إِنَّ الْعَالَمَ لَيْسْتَغْفِرَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
وَالْحَيَّتَانِ فِي جَوْفِ الْمَاءِ ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ

(١) البخارى فى الاعتصام ، ب قول النبى ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ، وهم أهل
العلم » (٧٣١٢) ، ومسلم فى الزكاة ، ب النهى عن المسألة (٩٨/١٠٣٧) .

(٢) مسلم فى صلاة المسافرين وقصرها ، ب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه (٢٦٩/٨١٧) .

(٣) مسلم فى الذكر والدعاء ، ب الحرص على طلب العلم (٣٨/٢٦٩٩) ، وأبو داود فى العلم ، ب الحث
على طلب العلم (٣٦٤٣) .

(٤) أحمد ١٥٧/٣ عن أنس بن مالك .

(٥) الترمذى فى العلم ، ب ما جاء فى فضل الفقه على العبادة (٢٦٨٥) .

الكواكب ، وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء ، وإنَّ الأنبياءَ لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، إنما ورثوا العلمَ ؛ فمن أخذ به أخذ بحظ وافر » رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه بنحوه (١) .

وأما ما يذكره بعض الناس : « علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل » فلم أجد له أصلاً ، ولا ذكراً له فى الكتب المشهورة المعروفة ولا يصح .

وروى الخلال عن أنس رضى الله عنه قال : « طلب العلم فريضة » .

وروى ابن شاهين : حدثنا سليمان الأشعث ، حدثنا جعفر بن مسافر التنيسى ، حدثنا يحيى ابن حسان ، حدثنا سليمان بن قرم : عن ثابت ، عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » . كلهم ثقات إلا سليمان فإنه مختلف فيه . قال أحمد : لا أرى به بأساً لكنه يفرط فى التشيع ، وضعفه ابن معين ، وقال أبو زرعة : ليس بذلك ، وقال أبو حاتم : ليس بالمتين ، وقال النسائى : ليس بالقوى ، وقال ابن عدى : أحاديثه حسنة . ورواه حسان بن سياه عن ثابت ، لكن حسنة ضعيف . قال ابن شاهين : وهذا حديث غريب من أصح حديث فى هذا الباب . ورواه ابن ماجه من رواية حفص بن سليمان القارى وهو متروك عندهم ، وفيه : « وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر والذهب » (٢) قال ابن عبد البر : هذا حديث ، يروى عن أنس عن النبى ﷺ من وجوه كثيرة كلها معلولة (٣) ، ولا حجة فى شىء منها عند أهل العلم بالحديث من جهة الإسناد .

قال الترمذى : حدثنا محمد بن حاتم المؤدب ، حدثنا على بن ثابت ، حدثنا عبد الرحمن ابن ثابت بن ثوبان ، سمعت عطاء بن فروة ، سمعت عبد الله ، سمعت أبا هريرة : سمعت النبى ﷺ يقول : « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها ، إلا ذكر الله وما والاه ، وعالماً ومتعلماً » إسناد جيد ، وعبد الرحمن حديثه حسن قواه الأكثر . وقال الترمذى : حسن غريب (٤) ورواه ابن ماجه من حديثه (٥) .

ورأى ابن السخّير ابن أخ له يتعبد فقال : أى بُنى ، فضل العلم أحبُّ إلى من فضل العبادات . وقال مهنا : قلت لأحمد : حدثنا ، ما أفضل الأعمال ؟ قال : طلب العلم ، قلت : لمن ؟ قال : لمن صحت نيته ، قلت : وأى شىء يصحح النية ؟ قال : ينوى يتواضع فيه ، وينفى عنه الجهل .

-
- (١) أبو داود فى العلم ، ب الحث على طلب العلم (٣٦٤١) ، والترمذى فى العلم ، ب ما جاء فى فضل الفقه على العبادات (٢٦٨٢) ، وابن ماجه فى المقدمة ، ب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٢٢٣) .
- (٢) ابن ماجه فى المقدمة ، ب فضل العلماء ، والحث على طلب العلم (٢٢٤) ، عن أنس بن مالك .
- (٣) فى المخطوطة : « معلومة » ، والمثبت من أ ، ر ، ط ، وهو أوفق للسياق .
- (٤) الترمذى فى الزهد ، ب ما جاء فى هوان الدنيا على الله عز وجل (٢٣٢٢) .
- (٥) ابن ماجه فى الزهد ، ب مثل الدنيا (٤١١٢) .

وقال الحسن بن ثواب : قال لى أحمد بن حنبل : ما أعلم الناس فى زمان أحوج منهم إلى طلب الحديث من هذا الزمان . قلت : ولم ؟ قال : ظهرت بدع ؛ فمن لم يكن عنده حديث وقع فيها .

وقال بشر الحافى : لا أعلم على ظهر الأرض عملاً أفضل من طلب العلم والحديث لمن اتقى الله وحسنت نيته .

وقال سفيان : ما أعلم شيئاً يُرادُ الله به أفضل من طلب العلم . وقد روى عن مجاهد قال : طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبير نية ، ثم رزق الله النية بعد . وروى هذا المعنى عن جماعة منهم حبيب بن أبى ثابت وسماك بن حرب (١) .

وقال يزيد بن هارون : طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يردنا إلا إلى الله .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا معمر قال : كان يقال : إن الرجل ليطلب العلم لغير الله فيأبى عليه العلم حتى يكون لله .

وروى الخلال : أخبرنى حرب ، حدثنا عباس بن عبد العظيم ، حدثنا يحيى بن يمان (٢) قال : قالوا لسفيان : إن أصحاب الحديث يطلبون الحديث بغير نية ، قال : طلبهم له نية . إسناده صحيح .

وعن سفيان قال : إنما فضّل العالم على غيره ؛ لأنه يتقى ربه ، وعن الحسن قال : يبقى الله لهذا العلم قوما يطلبونه ، ولا يطلبونه خشيةً ، وليس لهم فيه نيةً ، يبعثهم الله تعالى كي لا يضيع العلم ، فيبقى عليهم حجة .

وعن ابن المبارك قال : ما من شيء أفضل من طلب العلم لله ، وما من شيء أبغض إلى الله من طلب العلم لغير الله .

وقال أحمد : حدثنا يونس وسريج (٣) بن النعمان قالا : حدثنا فليح عن عبد الله بن

(١) سماك بن حرب بن أوس بن خالد بن نزار بن معاوية بن حارثة ، الحافظ الإمام الكبير أبو المغيرة الذهلى البكرى الكوفى ، حدث عن ثعلبة بن الحكم الليثى ، وابن الزبير ، والنعمان بن بشير وآخرون ، حدث عنه زكريا بن أبى زائدة ، وحاتم بن أبى صغيرة ، ومالك بن مغول وغيرهم ، اختلف فى توثيقه ، مات سنة ثلاث وعشرين ومائة . [سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٤٧ - ٢٤٩] .

(٢) هو الإمام الحافظ الصادق العابد المقرئ ، أبو زكريا العجلى الكوفى روى عن هشام بن عروة ، والمنهال بن خليفة ، وإسماعيل بن أبى خالد وجماعة ، حدث عنه بشر بن الحارث ، وأبو كريب ، وسفيان بن وكيع وغيرهم ، اختلف فى توثيقه توفى سنة تسع وثمانين ومائة . [سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٥٦ ، ٣٥٧] .

(٣) فى المخطوطة : « شريح » ، والمثبت من أبى داود وأحمد .

عبد الرحمن أبى طوالة ، عن سعيد بن يسار ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً مِمَّا يُتَغْنَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيَصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةَ » (١) . ورواه أبو داود عن أبى بكر بن أبى شعبة ، عن سريج (٢) . فليح وإن كان من رجال « الصحيحين » فقد تكلم فيه ابن معين وأبو حاتم والنسائي وغيرهم .

وفى معناه عن ابن عمر مرفوعاً : « مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً لِيُغَيِّرَ اللَّهُ أَوْ أَرَادَ بِهِ غَيْرَ اللَّهِ فَلْيَتَوَأَّمَقَعْدَهُ مِنَ النَّارِ » رواه الترمذى وقال : حسن غريب (٣) .

وعن جابر مرفوعاً : « لَا تَعْلَمُوا الْعِلْمَ لَتَبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ ، وَلَا لَتَمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءُ وَلَا لَتَحْدُثُوا بِهِ فِي الْمَجَالِسِ ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارُ النَّارُ » (٤) رواه جماعة منهم البيهقى ، وانفرد به ابن ماجه عن الكتب الستة فرواه عن محمد بن يحيى ، عن سعيد بن أبى مريم ، عن يحيى ابن أيوب ، عن ابن جريج ، عن أبى الزبير ، عن جابر ، ورواه ابن وهب عن ابن جريج مرسلأ . ويحيى بن أيوب — هو العافقى — وإن كان من رجال « الصحيحين » فقد تكلم فيه أحمد وأبو حاتم والدارقطنى وابن القطان وغيرهم . وذكر جماعة هذا الخبر من مناكيره .

وعن كعب بن مالك مرفوعاً : « مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيَجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ ، أَوْ لِيَمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءُ ، وَيَصْرِفَ بِهِ وَجْهَهُ النَّاسَ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ » (٥) رواه الترمذى وقال : لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وإسحاق بن يحيى بن طلحة ليس بالقوى عندهم .

وفى مسلم عن أبى هريرة مرفوعاً حديثُ الثلاثة الذين يُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ : وهم المجاهد المرائى ليقال : إنه جرى ، والمنفق المباهى ليقال : إنه جواد ، والرجل يقول : تعلمتُ العلم وقرأت القرآن ، فيقول الله : كذبت ، إنما أردت أن يقال : [فلان جرى] (٦) ، وفلان قارئ ، وقد قيل ، ثم يُسْحَبُ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى يُلْقَى فِي النَّارِ (٧) .

وعن زيد بن أرقم مرفوعاً كان يقول : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَقَلْبٍ لَا

(١) أحمد ٢ / ٣٣٨ ، وأبو داود فى العلم ، ب فى طلب العلم لغير الله تعالى (٣٦٦٤) ، وابن ماجه فى المقدمة ، ب الانتفاع بالعلم والعمل به (٢٥٢) .

(٢) فى المخطوطة : « شريح » ، والمثبت من أبى داود .

(٣) الترمذى فى العلم ، ب ما جاء فىمن يطلب بعلمه الدنيا (٢٦٥٥) .

(٤) ابن ماجه فى المقدمة ، ب الانتفاع بالعلم والعمل به (٢٥٤) ، وقال فى الزوائد : « رجال إسناده ثقات » والدارمى فى المقدمة ، ب اجتناب أهل الأهواء والبدع والخصومة ١ / ١١٠ ، والبيهقى فى شعب الإيمان ، ب فى نشر العلم (١٧٧١) ، ابن حبان (٧٧) .

(٥) الترمذى فى العلم ، ب ما جاء فىمن يطلب بعلمه الدنيا (٢٦٥٤) .

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوطة ، وهو فى أ ، ر ، ط .

(٧) مسلم فى الإمامة ، ب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار (١٥٢ / ١٩٠٥) .

بخشع ، ونفس لا تشيع ، ودعوة لا يُستجاب لها » (١) ورواه أبو داود الطيالسي عن حماد بن سلمة ، عن قتادة ، عن أنس مرفوعاً ، وفيه : « وعمل لا يرفع » بدل « نفس لا تشيع » (٢) .
وكان ابن مسعود يقول : تعلموا ، فمن علمَ فليعمل . وكان يقول : إني لأحسبُ أنَّ الرجل ينسى العلمَ للخطيئةِ يعملها .

وعن الأعمش عن سعيد بن عبد الله بن جريج ، عن أبي برزة مرفوعاً : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ، وعن علمه ماذا عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه » (٣) إسناده جيد ، وسعيد روى عنه غير واحد ووثقه ابن حبان ولا وجه لقول أبي حاتم : مجهول . وروى حديثه هذا الترمذی ، وقال : حسن صحيح ، وروى البيهقي هذا المعنى من حديث معاذ (٤) .

وقال ابن وهب : أخبرني يحيى بن أبي سليم ، وفي نسخة : سلام ، عن عثمان بن مقسم — وهو كذاب متروك عندهم — عن المقبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة عالمٌ لم ينفعه الله بعلمه » (٥) .

وأما ما روى الطبراني والبيهقي وغيرهما من حديث ابن المبارك ، عن الثوري ، عن سماك ابن حرب ، عن ثعلبة بن الحكم ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله تعالى للعلماء يوم القيامة : إني لم أجعل حكماً وعلمي فيكم إلا وأنا أريدُ أن أغفرَ لكم على ما كان منكم ولا أبالي » (٦) . فالظاهر أنه غير صحيح وتدل عليه الأخبار السابقة ، ولو صحَّ فالمرادُ به العلماء الأخيار . وقد قال البيهقي : ولا أراه محفوظاً .

وروى ابن عدى والبيهقي وغيرهما من رواية صدقة بن عبد الله ، عن طلحة بن زيد — وهو كذاب متروك بالاتفاق — عن موسى بن عبيدة ، عن سعيد بن أبي هند ، عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً : « يقول الله تعالى يوم القيامة للعلماء : إني لم أضع علمي فيكم إلا لعلمي بكم ، ولم أضع علمي فيكم لأعذبكم ، انطلقوا فقد غفرت لكم » .

وقال : « يقول الله عز وجل : لا تحقروا عبداً آتيتهُ علماً ، فإنني لم أحقره حين علمته » (٧) .

(١) مسلم في الذكر والدعاء ، ب التعوذ من شر ما عمل (٢٧٢٢/٧٣) .

(٢) أبو داود الطيالسي في مسنده (٢٠٠٧) .

(٣) الترمذی في صفة القيامة ، ب في القيامة (٢٤١٧) .

(٤) البيهقي في شعب الإيمان ، ب في نشر العلم (١٧٨٥) .

(٥) الطبراني في الصغير ١/١٨٣ ، والهيشمي في مجمع الزوائد ١/١٩٠ ، وقال : « فيه عثمان البري قال الفلاس : صدوق ، لكنه كثير الغلط ، صاحب بدعة ، ضعفه أحمد والنسائي والدارقطني » .

(٦) الطبراني في الكبير (١٣٨١) ، والترغيب والترهيب للمنذرى ، فضل من تعلم العلم وعلمه ١/١٠١ ، والدر المنثور ١/٣٥٠ .

(٧) ابن عدی في الكامل ٤/١١١ ، والدر المنثور ١/٣٥٠ .

قال ابن عدى : هذا الحديث بهذا الإسناد باطل ، وذكره فى ترجمة طلحة بن زيد . قال البيهقى : وإنما يعرف بعض هذا عن أبى عمرو الصنعانى قال : « إذا كان يوم القيامة عزلت الملائكة العلماء ، فإذا فرغ من الحساب قال : لم أجعل حكماً فيكم إلا خيراً أريده فيكم ؛ ادخلوا الجنة بما فيكم » (١) .

وقال ابن المبارك : إذا لم يكن عند الرجل مالٌ ، فليس عليه واجباً أن يتعلم الزكاة ، فإذا كان عنده مئتا درهم ، وجب عليه أن يتعلم كيف يخرج وأين يضع ، وسائر الأعمال على هذا . وعن عطاء قال : مَنْ جلس مجلساً للذكر كَفَّرَ سبعين مجلساً من مجالس الباطل ، فإن كان ذلك المجلس فى سبيل الله يكفر سبعين ألفاً من مجالس الباطل .

قال عطاء : ومجالس الذكر : كيف أصلى كيف أزكى كيف أحج كيف أنكح ، كيف أطلق ، كيف أبيع ، كيف أشتري ؟ .

وقال إسحاق بن إبراهيم لأبى عبد الله : إنَّ قوماً يكتبون الحديثَ ولا أرى أثره عليهم ولا يرى لهم وقار ، فقال أبو عبد الله : يؤولون فى الحديث إلى خير . وقال : دخلت عليه يوماً ومعى كتاب له فرميتُ به من قامتى ، فانتهرنى وقال : ترمى بكلام الأبرار ؟! .

وقال الشعبى : زَيْنُ العلم حلمُ أهله . وقال أيضاً : إن هذا العلم لا يصلح إلا لمن فيه عقلٌ ونسكٌ ، فاليوم يطلبه مَنْ لا عقلَ له ولا نسكَ فيه .

وقال ابن وهب : عن الثورى ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار قال : لم نر شيئاً إلى شىء أزينَ من حلمٍ إلى علم .

وقال أبو داود لأحمد : كتبتَ الحديثَ بنية ؟ قال : شرط النية شديد ولكن حُبَّ إلى فجمعتَه . وقال عبد الله : سألت أبى عن رجل ملك خمسمائة درهم وهو رجل جاهل ، أيجب بها أو يطلب العلم ؟ قال : يَحجُّ ؛ لأن الحج فريضة ، وينبغى له أن يطلب العلم .

وقال المروذى : قيل لأبى عبد الله : رجل له خمسمائة درهم : ترى أن يصرفه فى الغزو والجهاد أو يطلب العلم ؟ قال : إذا كان جاهلاً يطلب العلم أحب إلى .

وقال فى رواية يوسف بن موسى : عجبت لمن يتشبط عن طلب العلم ، ويحتجون بالفضيل ، ولعل الفضيل قد اكتفى ؛ ليس يَتَشَبَّطَ عن طلب العلم إلا جاهل .

(١) الهيثمى فى مجمع الزوائد ١/١٢٦ ، ١٢٧ ، وقال : « رواه الطبرانى فى الكبير ، وفيه عبيدة بن موسى الربذى ، وهو ضعيف جدا » .

وقال الربيع : سمعت الشافعى يقول : طَلَبُ العلم أفضل من صلاة النافلة .

وذكر البيهقى : قال مُطَرِّفُ بن عبد الله بن الشَّخِير : فضل العلم خيرٌ من فضل العبادة ، وخيرٌ دينكم الورع (١) ، وروى مرفوعاً بأسانيد ضعيفة وهو صحيح عن مطرف ذكره البيهقى .

وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن مطرف قال : حَظٌّ من علم أحبُّ إلىَّ من حظ عبادة (٢) ، سمعت ابن عباس يقول : مذاكرة العلم ساعةٌ أحبُّ إلىَّ من إحياء ليلة ، وروى من طريق آخر عن ابن عباس مثله (٣) .

وقال ابن وهب : أخبرني عتبة بن نافع عن زيد بن أسلم أن ابن مسعود كان يقول : لأنَّ أجلسَ مجلسَ فقهٍ ساعةً أحبُّ إلىَّ من صيام يومٍ وقيام ليلة .

وقال الأوزاعى : سأل رجل ابن مسعود : أى الأعمال أفضل ؟ قال : العلم ، فكرر عليه ثلاثاً كل ذلك يقول العلم ، ثم قال : ويحك إنَّ مع العلم بالله ينفعك قليلُ العمل وكثيره ، ومع الجهل بالله لا ينفعك قليلُ العمل ولا كثيره .

وقال أبو نضرة عن أبى سعيد : مذاكرة الحديث أفضل من قراءة القرآن .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرى : ما عبد الله بمثل الفقه ، ذكر ذلك البيهقى (٤) .

وقال البخارى فى « التاريخ » فى ترجمة عمرو بن مرة : قال أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، سمعت الأعمش ، حدثني عمرو بن مرة ، سمعت أبا عبيدة قال : قال أبو موسى : لمقعدُ كنتُ أقعده من عبد الله أحبُّ إلىَّ من عمل سنة فى نفسى . وكان يحيى يقول فيه : سمعت أبا موسى فلم يقله لنا ، وقال يعلَى : عن الأعمش ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة ، عن أبى موسى (٥) .

وهذا إنما قاله لما يحصل له من علمه وهديه وسمته .

قال ابن شهاب : العلم أفضل من العمل لمن جهل ، والعمل أفضل من العلم لمن علم .

وقال حرب : سمعت أحمد يقول : الناسُ محتاجون إلى العلم قبل الخبز والماء ؛ لأن العلم يحتاج إليه الإنسان فى كل ساعة ، والخبز والماء فى اليوم مرة أو مرتين .

(١) البيهقى فى شعب الإيمان ، ب فى فضل العلم وشرفه (١٧٠٦) .

(٢) عبد الرزاق فى مصنفه ، ب العلم (٢٠٤٦٨) .

(٣) عبد الرزاق فى مصنفه ، ب العلم (٢٠٤٦٩) .

(٤) عبد الرزاق فى مصنفه ، ب العلم (٢٠٤٧٩) ، والبيهقى فى شعب الإيمان ، ب فى فضل العقل (٤٦٩٧) .

(٥) البخارى فى التاريخ الكبير (٢٦٦٢) .

وقال ابن هانئ : قيل له : يطلب الرجل الحديث بقدر ما يظن أنه قد انتفع به ؟ قال : العلم لا يعدله شيء .

وقال في رواية المروزي : ليس قوم عندي خيراً من أهل الحديث ليس يعرفون إلا الحديث ، وقال في رواية أبي الحارث : أهل الحديث أفضل من تكلم في العلم .

وقال أبو إسماعيل الترمذي : سمعت أحمد وقال له رجل : إن رجلاً قال : إن أصحاب الحديث قوم سوء ، فقال : هذا زنديق .

وقال الثوري : أكثروا من الحديث ؛ فإنه سلاح .

وقال ابن المبارك : إني لأسمع الحديث ما أريد أن أحدث به ولا أعمل به ولكن أعدّه لأخ من إخواني يقع في الشيء فأجد له مخرجاً .

وقيل لأحمد : إلى متى يكتب الرجل ؟ قال : حتى يموت ، وقال : نحن إلى الساعة نتعلم .

وللترمذي من حديث أبي سعيد : وقال حسن غريب : « لن يشيع المؤمن من خبر يسمعه حتى يكون متناه الجنة » (١) .

وروى الخلال بإسناد صحيح عن عمر قال : تفقهوا قبل أن تسودوا . وذكره البخاري تعليقاً بصيغة الجزم (٢) ، قال الخطابي (٣) في كتاب « العزلة » : يريد من لم يخدم العلم في صغره يستحي أن يخدمه بعد كبر السن وإدراك السؤدد . قال : وبلغني عن سفيان الثوري (٤) رحمه الله قال : من ترأس في حديثه كان أدنى عقوبته أن يفوته حظٌ كثيرٌ من العلم . وعن أبي حنيفة رحمه الله قال : من طلب الرياسة بالعلم قبل أوانه لم يزل في ذلٍ ما بقي .

(١) الترمذي في العلم ، ب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٢٦٨٦) .

(٢) البخاري في العلم معلقاً (الفتح ١/١٦٥) .

(٣) هو فاروق بن عبد الكبير بن عمر المحدث المعمر ، مسند البصرة ، أبو حفص الخطابي البصري ، سمع هشام بن علي السيرافي ، وعبد الله بن أبي قريش وطائفة ، حدث عنه الذكواني ، وأحمد بن محمد بن الصقر البغدادي وغيرهما ، وما به بأس ، توفي سنة إحدى وستين وثلاثمائة . [سير أعلام النبلاء ١٦/١٤٠ ، ١٤١] .

(٤) هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن عامر بن ملكان بن ثور ينتهي نسبه إلى معد بن عدنان ، ولد سنة سبع وتسعين ، حدث عن إبراهيم بن عبد الأعلى وإبراهيم بن عقبة ، وإبراهيم بن مهاجر وخلق كثير ، حدث عنه الأعمش ، وخصيف ، وابن جريج وخلق كثير ، ثقة صدوق ، مات سنة ست وعشرين ومائة . [سير أعلام النبلاء ٧/٢٢٩ - ٢٧٩] .

وقيل للمبرد: لم صار أبو العباس - يعني ثعلباً - أحفظ منك للغريب والشعر؟ قال: لأنى ترأست وأنا حدث، وترأس وهو شيخ. انتهى كلام الخطابي.

وروى البيهقي قولَ عمر المذكور من حديث وكيع، عن ابن عون، عن محمد بن سيرين، عن الأحنف بن قيس، عنه. قيل: معناه قبل أن تزوجوا^(١). وقال الشافعي: إذا ترأست فلا سبيلَ إلى التفقه.

وروى الحاكم في «تاريخه» عن زفر، قال: قال لي أبو حنيفة: يا زفر لا تحدث قبل وقتك فيستخف بك.

وروى الخلال عن أيوب قال: ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعاً لله.

وقال المروذي: قيل لأبي عبد الله: قيل لابن المبارك: كيف تعرف العالم الصادق؟ قال: الذي يزهد في الدنيا، ويقبل على آخرته. فقال أبو عبد الله: نعم هكذا يريد أن يكون.

وقال الفضيل^(٢): يُغْفَرُ لسبعين جاهلاً قبل أن يُغْفَرَ لعالم واحد. وقال أحمد: حدثنا سفيان بن عيينة: سمعت فضيل بن عياض قال: يغفر لجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد.

وقال أحمد أيضاً: حدثنا سيار بن حاتم: حدثنا جعفر بن سليمان^(٣)، عن ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَعْفَى الْأَمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا لَا يَعْفَى الْعُلَمَاءُ». وذكر الحافظ الذهبي هذا الخبر في ترجمة جعفر من المناكير^(٤). قال: وقيل أخطأ مَنْ حَدَّثَ به عن جعفر. وسيار وثقه ابن حبان وغيره. وقال الأزدي: عنده مناكير. قال البيهقي: محمولٌ إن صحَّ على العالم الفاجر.

(١) البيهقي في شعب الإيمان، ب في طلب العلم (١٦٦٩).

(٢) فضيل بن عياض الخولاني، روى عن علي بن أبي طالب في الحث على العلم، وعنه عبد الكريم بن مالك الجزري. قاله الحارث بن عبد الله الحارثي عن محمد بن زياد عن عبد الكريم، ولم يذكره الخطيب في المتفق والمفترق. [سير أعلام النبلاء ٤٤٩/٨، تهذيب التهذيب ٢٩٧/٨، وميزان الاعتدال ٣/٣٦١].

(٣) جعفر بن سليمان أبو سليمان الضبعي البصري الشيخ العالم الزاهد محدث الشيعة، حدث عن أبي عمران الجنوي، وثابت البناني، ومالك بن دينار، وغيرهم، حدث عنه سيار بن حاتم، وعبد الرزاق، ومسدد بن سرهد وغيرهم ثقة فيه ضعف، توفي سنة ثمان وسبعين ومائة. [سير أعلام النبلاء ١٩٧/٨ - ٢٠٠].

(٤) الذهبي في ميزان الاعتدال ٤١١/١، وكنز العمال (٢٨٩٨٤).

ونقل المروذى عن أحمد قال : العالم يُقْتَدَى به ، ليس العالم مثل الجاهل . وهذا معنى ما روى عن ابن المبارك وغيره . ونقل عن أحمد أيضاً : أنه قيل له : من نسأل بعدك ؟ فقال : عبد الوهاب — يعنى الورَّاق — فقيل : إنه ضيق العلم ، فقال : رجلٌ صالح مثله يُوقَفُ لإصابة الحق .

وقال ابن عقيل فى « الفنون » : لا ينبغى الخروج من عادات الناس إلا فى الحرام ، فإن الرسول ﷺ ترك الكعبة ، وقال : « لو لا حدثان قومك بالجاهلية » (١) وقال عمر : لولا [أن يُقالَ : عمر زاد فى القرآن] (٢) ، لكتبتُ آيةَ الرجم . وترك أحمد الركعتين قبل المغرب لإنكار الناس لهما ، وذكر فى « الفصول » عن الركعتين قبل المغرب : وفعل ذلك إمامنا أحمد ثم تركه ، واعتذر بتركه بأن قال : رأيتُ الناسَ لا يعرفونه . وكره أحمد قضاءَ الفوائتِ فى مصلًى العيد ، وقال : أخافُ أن يُقتدى به بعض من يراه .

وروى البيهقى وغيره من طريق شعيب ، عن نافع ، عن أسلم : أن عمر رأى على طلحة ثوباً مصبوغاً فقال : ما هذا ؟ قال : إنما هو مدر (٣) ، فقال : إنكم أيها الرهط أئمةٌ يُقتدى بكم الناسُ ، وإن جاهلاً لو رأى هذا لقال : على طلحة ثوبٌ مصبوغٌ ؛ فلا يلبس أحدٌ منكم من هذه الثياب شيئاً إنه محرم (٤) . وقال الأوزاعى : كنا نمزح ونضحك ، فلما صرنا يُقْتَدَى بنا خشيتُ ألا يسعنا التبسم . وقال الثورى : لو صلح القراءُ لصلح الناسُ . وقال أيضاً : يعجبني أن يكون صاحب الحديث مكفياً ؛ لأنَّ الآفاتِ أسرعُ إليهم ، وألسنة الناسِ إليهم أسرعُ ، وإذا احتاج ذل .

وقال أبو داود السجستاني : من اقتصر على لباسٍ ومطعمٍ دونَ أراحِ جسده .
وقال الأعمش عن زيد بن وهب : رأيت بين كتفى عمر أربع عشرة رقعة بعضها من آدم .
وقال مالك : عن إسحاق بن عبد الله ، عن أنس : رأيت عمر رضى الله عنه وهو يومئذ أمير المؤمنين قد رقع بين كتفيه ثلاثَ رقاعٍ لَبَدَ بعضها فوقَ بعض .
وقال سليمان بن حرب : لو نظرتُ إلى ثياب شعبة لم تكن تسوى عشرة دراهم . إزاره ورداؤه وقميصه . كان شيخاً كثيرَ الصدقة .

(١) البخارى فى الحج ، ب فضل مكة وبنائها (١٥٨٤) ، ومسلم فى الحج ، ب نقض الكعبة وبنائها (٣٩٩/١٣٣٣) .

(٢) سقط من المخطوطة ، وهو فى أ ، ط ، ر .

(٣) المدر : الطين اليابس .

(٤) البيهقى فى الكبرى فى الحج ، ب من كره لبس المصبوغ بغير طيب فى الإحرام ٦٠/٥ .

وقال عليّ بن ثابت : رأيت الثوري في طريق مكة فَقَوَّمتُ كُلَّ شَيْءٍ عليه حتى نعله درهماً وأربعة دنانير .

وقال الثوري : ينبغي لحامل القرآن أَنْ يُعْرِفَ بليله إِذِ الناسُ نائمون ، ونهاره إِذِ الناسُ مفطرون ، وبكائه إِذِ الناسُ يضحكون ، وبجزنه إِذِ الناسُ يفرحون .

وقال الثوري : العالمُ طيبٌ هذه الأمة ، والمالُ الداءُ ؛ فإذا كان الطبيبُ يجر الداءَ إلى نفسه كيف يعالجُ غيره ؟ .

وعن عيسى ابن مريم عليه السلام أَنه قال : يا معشرَ الحواريين ، اَرْضُوا بِدَنِي الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أَهلُ الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا .

وروى ابن بطة عن عمر أَنه كتب إلى أبي موسى : إِنَّ الفقه ليس بسعة الهَذَرِ وكثرة الرواية ، إِنما الفقه خشية الله . وروى أيضاً عن أبي حازم قال : لا يكونُ العالمُ عالماً حتى يكون فيه ثلاث خصال : لا يحقر مَنْ دونه في العلم ، ولا يحسدُ مَنْ فوقه ، ولا يأخذ على عمل دنيا . وروى أيضاً عن الحسن قال : الفقيه الورع الزاهد المقيم على سنة محمد ﷺ الذي لا يسخر بمن أسفل منه ولا يهزأ بمن فوقه ولا يأخذ على عِلْمٍ عِلْمُهُ الله عز وجل حُطْماً . وقال أيضاً : ما رأيت فقيهاً قط .

وروى البيهقي عنه : كان الرجل يطلب العلم فلا يلبث أَنْ يُرَى ذلك في تَخَشُّعِهِ وَهَدْيِهِ ولسانه وبصره ويده . وقال ابن المبارك عن مالك بن دينار : سألت الحسن : ما عقوبة العالم ؟ قال : موت القلب ، قلت : وما موتُ القلب ؟ قال : طلب الدنيا بعمل الآخرة .

وقال الأوزاعي : بلغني أَنه يقال : ويلٌ للمتفقهين لغير العبادة ، والمُسْتَحْلِينَ المحرمات بالشبهات . وقال : إن حقا على مَنْ طلب العلم أَنْ يكون له وقارٌ وسكينة وخشية ، وأنْ يكون مُتَّبِعاً لآثر من مضى قبله . وقال الربيع : سمعت الشافعي يقول : أخشى أَنْ أطلب العلم بغير نية ألا ينتفع به .

وقال الشافعي رضى الله عنه : زينة العلم : الورع والحلم . وقال أيضاً : لا يَجْمُلُ العلم ولا يحسن إلا بثلاث خلال : تقوى الله ، وإصابة السنة ، والخشية ، وقال أيضاً : ليس العلم ما حُفِظ ، العلم ما نفع . وقال أبو قلابَةَ لأَيُّوب : إِذا حدثَ لك عِلْمٌ فأحدث فيه عبادة ، ولا يَكُنْ همك أَنْ تُحَدِّثَ به الناسَ .

وقال أحمد بن محمد : سمعت وكيعاً يقول : قالت أم سفيان الثوري : اذهب فاطلب العلم حتى أعولكَ أنا بمغزلي ، فإذا كتبت عشرةَ أحاديث فانظر هل في نفسك زيادة فابتغِ ، وإلا فلا تتعنى .

وقال الفضيل بن عياض : بلغنى أن العلماء فيما مضى كانوا إذا تَعَلَّمُوا عَمِلُوا ، وإذا عملوا شغلوا ، وإذا شغلوا فقدوا ، وإذا فقدوا طلبوا ، وإذا طلبوا هربوا .

وقال عمر : تعلموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينة والحلم ، وتواضعوا لمن يُعَلِّمُكُمْ ، وتواضعوا لمن تُعَلَّمُونَ ، ولا تكونوا من جَبَّارِ العلماء ؛ فلا يقوم عملكم مع جهلكم (١) . وقالت عائشة : تغفلون عن أعظم العبادات : التواضع . وقال الشعبي : اتقوا الفاجر من العلماء ، والجاهل من المتعبدين ؛ فإنهما آفة كل مفتون . وقال الثوري : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الْعَالَمِ الْفَاجِرِ ، وَالْعَابِدِ الْجَاهِلِ ؛ فَإِنَّ فِتْنَتَهُمَا فِتْنَةٌ لِكُلِّ مُفْتُونٍ . ذكر ذلك البيهقي .

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : إن الله يحب العالم المتواضع ، ويبغض العالم الجبار . ويأتى الخبر فى فصول كسب المال فى الأئمة المضلين .

وعن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني ، عن أبيه ، عن جده مرفوعاً : « إني أخافُ على أمتي من بعدى زلة العالم ، ومن حكم جائر ، وهوى متبع » (٢) وفى لفظ بهذا الإسناد : « اتقوا زَلَّةَ الْعَالَمِ وَاَنْتَظِرُوا فَيْتَنَهُ » (٣) ، كثيرٌ : كذابٌ متروكٌ ، وهذا مذكور فى ترجمته ، وقد صحح له الترمذى .

وعن يزيد بن أبى زياد عن مجاهد عن ابن عمر مرفوعاً : « إِنَّ أَشَدَّ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي ثَلَاثٌ : زَلَةُ عَالَمٍ ، وَجِدَالٌ مُنَافِقٌ بِالْقُرْآنِ ، وَدُنْيَا تَقْطَعُ أَعْنَاقَكُمْ ، فَاتَّهَمُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ » (٤) يزيد ضعيف ولم يترك .

وقال داود بن أبى هند : قال عمر بن الخطاب : يفسد الناس ثلاثة : أئمة مضلون ، وجِدَالٌ مُنَافِقٌ بِالْقُرْآنِ — وَالْقُرْآنُ حَقٌّ — وَزَلَةُ الْعَالَمِ .

وقال منصور عن شقيق ، عن أبى الدرداء رضى الله عنه : إني لأمركم بالأمر وما أفعله ، ولكن لعلَّ الله أن يأجرني فيه . قال البيهقي : محمولٌ على المستحبات ، أو أنه قاله على وجه التواضع .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا الصعق بن حزن ، عن عَقِيلِ الْجَعْدِيِّ ، عن أبى إسحاق ، عن سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ ، عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « يا عبد الله ، أتدرى أى

(١) البيهقي فى الشعب ، ب فى نشر العلم (١٧٨٩) .

(٢) البزار فى كشف الأستار ، ب زلة العالم وحكم الجائر (١٨٢) ، والهيثمى فى مجمع الزوائد ، ب ما يخاف على الأمة من زلة العالم وجدال المنافق وغير ذلك ١٩٢/١ ، وقال : « رواه البزار ، وفيه كثير بن عبد الله ابن عوف وهو متروك وحسن له الترمذى » .

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي فى ترجمة كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف ٤٠٧/٣ .

(٤) البيهقي فى شعب الإيمان ، ب الزهد وقصر الأمل (١٠٣١١) .

الناس أعلم ؟ » قلتُ : الله ورسوله أعلم ، قال : « فَإِنَّ أَعْلَمَ النَّاسِ أَعْلَمُهُمْ بِالْحَقِّ إِذَا اخْتَلَفَ النَّاسُ وَإِنْ كَانَ مُقْصَرًّا فِي الْعَمَلِ ، وَإِنْ كَانَ يَزْحَفُ عَلَى اسْتِهِ » (١) . قال البخارى فى عقيل : منكر الحديث ، يروى عن أبى إسحاق ، وتكلم فيه ابن حبان ، وقال البيهقى : غير معروف . قال : ويمكن إجراء الخبر على ظاهره ؛ ويكون تركه العمل زلة منه تنتظر فيثته .

[ولما حج سلم الخواص (٢) ، لقي ابن عيينة فى السوق ، فأنكر عليه كونه فى السوق ، فأنشد ابن عيينة :] (٣)

فَخُذْ بَعْلَمِي وَإِنْ قَصَّرْتُ فِي عَمَلِي يَنْفَعَكَ عِلْمِي وَلَا يَضُرُّكَ تَقْصِيرِي

وأما قول بعض المتأخرين :

خُذْ مِنْ عِلْمِي ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَيَّ عَمَلِي واقصدُ بذلك وجهَ الواحدِ البارى
وإنْ مَرَّرْتَ بِأَشْجَارٍ لَهَا ثَمَرٌ فاجنِ الثمارَ ، واخلُ العودَ للنارِ
فالمراد : إذا كان أهلاً لأخذ العلم عنه ، ولكنه مقصر فى العمل ، وإلا كان مردوداً على قائله .

وقال فى « الرعاية » فى كتاب الجهاد : وَمَنْ لَزِمَهُ تَعَلُّمُ شَيْءٍ — وقيل : أو كان فى حقه فرض كفاية ، وقيل : أو نفلاً ، ولا يحصل له فى بلده — فله السفر فى طلبه بغير إذن أبويه وبقية أقاربه ، انتهى كلامه . وكلام أحمد السابق فى رواية إسحاق بن إبراهيم يدل لهذا القول ، وغيرها عن أحمد يخالفها .

قال القاضى : وما يجب إنكاره تركُ التعليم والتعلم لما يجب تعليمه وتعلُّمه نحو ما يتعلق بمعرفة الله تعالى وبمعرفة الصلوات وجملة الشرائع ، وما يتعلق بالفرائض . ويلزم النساء الخروج لتعلم ذلك . وقد قال النبى ﷺ فى الصبيان : « واضربوهم على تركِهَا لعشر » (٤) فأولى أن يضربَ المُكَلَّفُ على تعلُّم ذلك .

(١) أبو داود الطيالسى فى مسنده (٣٧٨) .

(٢) سلم بن ميمون الخواص هو أصغر من سليمان الخواص ، حدث عن مالك ، والقاسم بن معن ، وسفيان ابن عيينة ، وروى عنه أحمد بن ثعلبة ، وعمرو بن أسلم الطرسوسى ، وغيرهما ، قال أبو حاتم : أدركته ، وكان مرجئاً لا يكتب حديثه ، بقى إلى ما بعد سنة ثلاث عشرة ومائتين . [سير أعلام النبلاء ١٧٩/٨ ، ١٨٠] .

(٣) سقط من المخطوطة ، وهو فى أ ، ر ، ط وجاء فى ر : « لما حج سالم » والصحيح سلم .

(٤) الترمذى فى أبواب الصلاة ، ب ما جاء متى يؤمر الصبى بالصلاة (٤٠٧) وقال : « حديث حسن صحيح » ، والدارمى فى الصلاة ، ب متى يؤمر الصبى بالصلاة ١/٣٣٣ .

وواجب على الإمام أن يتعاهد المعلم والمتعلم كذلك ، ويرزقهما من بيت المال ؛ لأن في ذلك قواماً للدين ، فهو أولى من الجهاد ؛ لأنه ربما نشأ الولد على مذهب فاسد فيتعذر زواله من قلبه .

وروى البيهقي من حديث الثوري : عن منصور ، عن ربيع ، عن علي : ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم : ٦] . قال : علموهم الخير (١) .

وقد روى الخلال في أخلاق الإمام أحمد أنه قال : خرجت إلى الكوفة فكنت في بيت تحت رأسي لَبَنَةٌ فَحُمِّمْتُ ، فرجعت إلى أمي ولم أكن استأذنتها .

وقال الفضيل : العلماء ربيع الناس ، إذا رآهم المريض لا يشتهي أن يكون صحيحاً ، وإذا رآهم الفقير لا يشتهي أن يكون غنياً .

وعن الشعبي قال : شرُّ أُرْ كل ذي دينٍ علماؤهم ، غير المسلمين .

وروى الخلال : أنبأنا محمد ، حدثنا وكيع عن المسعودي ، عن القاسم قال : قال عبد الله : كفى بخشية الله علماً ، وبالاغترار بالله جهلاً .

وعن أبي الدرداء قال : لا يكون الرجلُ عالماً حتى يكونَ به عاملاً .

وقالت عائشة رضي الله عنها : « ما سمعت النبي ﷺ ينسبُ أحداً إلا إلى الدين » رواه أبو داود (٢) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : لو أن أهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند أهلهم لسادوا أهل زمانهم ، ولكنهم وضعوه عند أهل الدنيا لينالوا من دنياهم فهانوا عليهم . رواه الخلال .

وروى ابن ماجه والبيهقي وغيرهما من رواية معاوية بن سَلَمَةَ البصري عن نهشل — وهو كذاب متروك عندهم — عن الضحاک ، عن الأسود ، عن ابن مسعود قال : لو أن أهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند أهلهم لسادوا أهل زمانهم ، ولكنهم أتوا به أهل الدنيا فاستخفوا بهم . سمعت نبيكم ﷺ يقول : « مَنْ جَعَلَ هُمُومُهُ هَمًّا وَاحِداً كَفَاهُ اللَّهُ سَائِرَ هُمُومِهِ ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ وَأَحْوَالُ الدُّنْيَا لَمْ يَبَالِ اللَّهُ فِي أَى أَوْدِيَّتِهَا هَلَكَ » (٣) .

(١) البيهقي في شعب الإيمان ، ب في حقوق الأولاد والأهلين (٨٧٠٤) .

(٢) أبو داود في الأدب ، ب في صلاة العتمة (٤٩٨٧) من طريق زيد بن أسلم ، وهو لم يسمع عائشة .

(٣) ابن ماجه في المقدمة ، ب الانتفاع بالعلم والعمل به (٢٥٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان ، ب في نشر العلم (١٨٨٨) ، والعقيلي في الضعفاء ٥٨/٧ ، والمنذرى في الترغيب والترهيب ، ب من أصبح وهمه الدنيا فليس من الله في شيء ١٢٣/٤ .

وفى حواشى تعليق القاضى أبى يعلى ، ذكر المدائنى فى كتاب « السلطان » عن على رضى الله عنه قال : لو أَنَّ حَمَلَةَ العلم حملوه بحقه ، لأحبهم الله عز وجل وملائكته وأهل طاعته من خلقه ، ولكن حملوه لطلب الدنيا فمقتهم الله وهانوا على الناس .

وقال مالك : وجه إلى الرشيد أن أُحَدِّثَهُ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنَّ العلم يُؤْتَى ولا يأتى . فصار إلى منزلى فاستند معى على الجدار ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ، إنَّ من إجلال الله إجلالَ ذى الشبهة المسلم ، فقام فجلس بين يدى ، فقال بعد مدة : يا أبا عبد الله ، تواضعنا لعلكم تانتفعنا به ، وتواضع لنا علّمُ سفيان بن عيينة فلم نتفع به . وروى نحو ما روى عن مالك ، عن سليمان بن حرب ^(١) مع طاهر بن عبد الله .

وروى أن طاهر بن عبد الله كان ببغداد فطمع أن يسمع من أبى عبيد ، وطمع أن يأتيه فى منزله ، فلم يفعل أبو عبيد ، فقدم على بن المدنى ^(٢) وعباس العنبرى فأرادا أن يسمعا غريب الحديث ، فكان يحمل كل يوم كتابه ويأتيهما فى منزلهما فيحدثهما فيه .

وروى البيهقى وغيره أن المهدي لما قدم المدينة حاجاً جاءه مالك فسلم عليه ، فأمر المهدي ابنه موسى الهادى وهارون الرشيد أن يسمعا منه فطلباه إليهما فامتنع ، فعاتبه المهدي فى ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ للعلم نصارة ، يُؤْتَى أهله . وفى رواية : العلم أهل أن يُوقَّرَ ويؤْتَى أهله ؛ فأمرهما والدهما بالمصير إليه ، فسأله مؤدبهما أن يقرأ عليهما فقال : إن أهل هذه البلدة يقرؤون على العالم كما يقرأ الصبيان على المعلم ، فإذا أخطؤوا أفتاهم . فرجعوا إلى الخليفة ، فعاتبه المهدي فى ذلك فقال : يا أمير المؤمنين ، سمعت ابن شهاب يقول : سمعنا هذا العلم من رجال فى الروضة ، وهم يا أمير المؤمنين : سعيد بن المسيب وأبو سلمة وعروة والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وخارجة بن زيد ^(٣) وسليمان بن يسار ونافع مولى ابن

(١) هو سليمان بن حرب بن بجيل ، الإمام الثقة الحافظ شيخ الإسلام أبو أيوب الواشى الأزدى البصرى قاضى مكة ، حدث عن شعبة ، وحوشب بن عقيل ، والأسود بن شيبان وغيرهم ، وعنه البخارى ، وأبو داود ، والحميدى ، وغيرهم ، ثقة صدوق مأمون ، ولد فى صفر سنة أربعين ومائة ، ومات بالبصرة فى ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومائتين . [سير أعلام النبلاء ١٠ / ٣٣٠ - ٣٣٤] .

(٢) هو الشيخ الإمام الحجة أمير المؤمنين فى الحديث ، أبو الحسن ، على بن عبد الله بن جعفر بن نجيح بن بكر بن سعد السعدى مولاهم البصرى ، سمع حماد بن زيد ، وجعفر بن سليمان ، ويزيد بن زريع وخلقاً كثيراً ، حدث عنه أحمد بن حنبل ، وأبو عبد الله البخارى ، وأبو داود وغيرهم ، ولد سنة إحدى وستين ومائة بالبصرة صاحب التصانيف الجمة ، ثقة محدث ، مات فى ذى العقدة سنة أربع وثلاثين ومائتين . [سير أعلام النبلاء ١١ / ٤١ - ٦٠] .

(٣) خارجة بن زيد بن ثابت ، الفقيه ، الإمام ابن الإمام ، وأحد الفقهاء السبعة الأعلام ، أبو زيد الأنصارى ، والبخارى المدنى ، حدث عن أبيه ، وعمه يزيد ، وأسامة بن زيد ، وغيرهم ، وروى عنه ابنه سليمان ، وابن أخيه سعيد بن سليمان ، وسالم أبو النضر وغيرهم ، تابعى ثقة ، مات سنة تسع وتسعين . [سير أعلام النبلاء ٤ / ٤٣٧ - ٤٤١] .

عمر وابن هرمز ، ومن بعدهم : أبو الزناد وربيعة ويحيى بن سعيد وابن شهاب كل هؤلاء يُقرأ عليهم ولا يُقرؤون ، فقال المهدي : في هؤلاء قدوة ، صيروا إليه فاقروا عليه ، ففعلوا .
وقال سفيان بن عيينة : لو أن أهل العلم طلبوه لما عند الله لهابهم الناس ، ولكن طلبوا به الدنيا فهانوا على الناس .

وقال سفيان : ما زال العلم عزيزاً حتى حُمِلَ إلى أبواب الملوك ، وأخذوا عليه أجراً فَنَزَعَ الله الخلاوة من قلوبهم ، ومنعهم العمل به . قال ابن الجوزي : ينبغي للعالم أن يصون العلم ولا يبذله ولا يحمل به إلى الناس ، خصوصاً إلى الأمراء .

وروى عن القاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني (١) أنه أنشد لنفسه :

يقولون لي: فيك انقباضٌ وإنما
أري الناسَ مَنْ دَانَاهُمْ هَانَهُمْ
ولم أفضِ حقَّ العلم إن كان كلما
[وما كلُّ برقٍ لاحَ لي يستفزني
إذا قيل: هذا منهلٌ، قلت: قد أرى
ولم أبتذل في خدمة العلم مُهَجَّتِي
أشقى به غرساً وأجنيه ذلَّةً؟!
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولكن أذلوه فهان فدنسوا

رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجماً
ومن أكرمتَه عِزَّة النفس أكرماً
بدا طمعٌ صيرته لي سلماً
ولا كلُّ مَنْ في الأرض أَرْضاه مُنعماً (٢)
ولكن نفس الحر تحتمل الظماً
لأخدم مَنْ لا قيت ، لكن لأخدماً
إذا فاتباعُ الجهل قد كان أحزماً
ولو عظموه في النفوس لعظماً
محيّاه بالأطماع حتى تجهما

وأرسل محمد بن سليمان أمير البصرة إلى حماد بن سلمة يطلب منه الحضور إليه لأجل مسألة وقعت له ، فأرسل إليه حماد : إنا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحداً ، فإن وقعت مسألة ، فأنتا فاسألنا عما بدا لك ، والقصة مشهورة وفيها أن محمد بن سليمان جاء فجلس بين يديه ثم ابتداء فقال ما لي إذا نظرت إليك امتلات رعباً ؟ فقال حماد : سمعت ثابتاً البناني يقول : سمعت أنس بن مالك يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء ، وإذا أراد أن يكثر به الكنوز هاب من كل شيء » (٣) . والقصة طويلة ، وفيها : أنه عرض عليه أربعين ألف درهم فلم يقبلها لا لنفسه ولا ليقسمها ويفرقها . وأنشد

(١) هو القاضي العلامة أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني ، الفقيه الشافعي الشاعر صاحب الديوان المشهور ، قال الثعالبي : هو فرد الزمان ، ونادرة الفلك ، وتاج الأدب ، وفارس عسكر الشعر ، توفي بالري سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة . [سير أعلام النبلاء ١٧/١٩ - ٢١] .

(٢) سقط من المخطوطة ، وهو في أ ، ر ، ط .

(٣) الهيثمي في مجمع الزوائد ١/١٨٨ ، ١٨٩ بلفظ : « من تعلم العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه فهو في النار » ، وقال : « رواه الطبراني في الأوسط والبخاري ، وفيه سليمان ابن زياد الواسطي قال الطبراني والبخاري : تفرد به سليمان زاد الطبراني ولم يتابع عليه ، وقال صاحب الميزان : لا ندرى من ذا » .

بعضهم :

إذا شئتَ أن تستقرضَ المالَ مُنفَقاً على شهواتِ النفسِ فى زمنِ العُسْرِ
فَسَلِّ نفسكَ الإنفاقَ من كَنْزِ صَبْرِها عليك وإرفاقاً إلى زمنِ اليُسْرِ
فإنْ فَعَلْتَ كُنْتَ الغنى وإنْ أَبْتَ فكلَ مَنوعٍ بعدها واسعُ العذرِ

وقال أبو الحارث لأبى عبد الله : فترى للرجل أن يرحل لطلب العلم ؟ قال : نعم قد رحل أصحابُ رسول الله ﷺ ومن بعدهم . وروى عنه الخلال أنه سئل عن رجلٍ يقيمُ ببلدةٍ وينزل فى الحديث درجة ؟ قال : ليس طَلَبُ العلم هكذا ، لو طلبَ العلم هكذا مات ، إنما يُؤخذُ العلمُ عن الأكابر .

وعن سعيد بن المسيب قال : إن كنتُ لأسافر مسيرةَ الليالى والأيام فى الحديث الواحد .
وقال أبو قلابَةَ : لقد أقيمت بالمدينة ثلاثة أيام ما لى حاجة إلا رجل يُقدِّمُ ، عنده حديثٌ فأسمعه .

وعن الشعبي قال : لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن فسمع كلمةً تنفعه فيما يستقبلُ من أمره ما رأيتُ سفره ضاع .

وفى « الصحيحين » من حديث الشعبي : عن أبى بردة ، عن أبى موسى ، عن النبى ﷺ :
« ثلاثة يُؤتون أجراً مرتين : عبدٌ مملوكٌ أدى حقَّ الله وحقَّ مواليه ، ورجلٌ من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بى ، ورجلٌ كانت له أمةٌ فأدبها فأحسن تأديبها ، ثم أعتقها فتزوجها » (١) ، ثم قال الشعبي : خُذْها بغيرِ شيءٍ ، فقد كان الرجلُ يرحلُ فى مثلها إلى المدينة ، يعنى من الكوفة .

وأشار البخارى إلى حديث عبد الله بن أنيس : وأن جابراً رحل إليه شهراً فى حديث واحد (٢) ، وهذا الحديث رواه الإمام أحمد من رواية عبد الله بن محمد بن عقیل ، عن جابر ابن عبد الله الأنصارى : أنه اتباعٌ بغيراً وسار شهراً إلى عبد الله بن أنيس ، والحديث عن النبى ﷺ يقول الله تعالى يوم القيامة : « أنا الله ، أنا الملك ، أنا الديان » (٣) ، وذكر الحديث .
وقد رحل الشافعى وأحمد وغيرهما من الأئمة قديماً وحديثاً ، تقبَّلَ الله تعالى منهم .

-
- (١) البخارى فى العلم ، ب تعليم الرجل أمةً وأهله (٩٧) ، ومسلم فى الإيمان ، ب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملء (١٥٤ / ٢٤١) .
(٢) البخارى فى العلم ، ب الخروج فى طلب العلم معلقاً (الفتح ١ / ١٧٣) .
(٣) أحمد ٤٩٥ / ٣ والبخارى فى التوحيد معلقاً (الفتح ١٣ / ٤٥٣) .

وعن عمران بن حصين قال: دخلتُ على النبي ﷺ، وعقلتُ ناقتي بالباب [فتاهت] (١)، فأناه ناسٌ من بني تميم فقال: « اقبلوا البشرى يا بني تميم » قالوا: بَشَرْنَا فَأَعْطَنَا ، مرتين ، فتغير وجهه ، ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال : « اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم » قالوا: قبلنا يا رسول الله ، قالوا: جئنا لتتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر قال: « كان الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السماوات والأرض وكتب في الذكر كل شيء » (٢) . ثم أتاني رجل فقال : يا عمران ، أدركَ ناقتك فقد ذهبت ، فانطلقتُ أطلبها ، فإذا السراب يتقطعُ دونها ، وإيمُ الله لوددتُ أنها قد ذهبت ولم أقم ! .

قال ابن هبيرة: فيه الرحلةُ في طلب العلم ، وجوازُ السؤال عن كلِّ ما لا يعلمه إلا نبي ، وجواز العدول عن سماع العلم إلى ما يخافُ فواته ؛ لأنَّ عمرانَ قام عن المجلس لأجل ناقتِه فلم ينكر عليه ، وجواز إثارة العلم على ذلك لقول عمران : وددتُ أنها ذهبت ولم أقم .

وقال مهنا : سألت أحمد عن حديث مُعَان بن رفاعَةَ عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري قال : قال رسول الله ﷺ : « يحملُ هذا العلمُ من كُلِّ خلفٍ عدوُّه ، ينفون عنه تحريفَ الجاهلين ، وإبطالَ المبطلين ، وتأويلَ الغالين » (٣) فقلت لأحمد : هو كلام موضوع ؟ قال : لا ، هو صحيح ، فقلت له : سمعته أنت ؟ قال : من غير واحد (٤) ، قلت : مَنْ ؟ قال : حدثني به مسكين إلا أنه يقول : عن مُعَان عن القاسم بن عبد الرحمن . ثم رواه الخلال من حديث مُعَان ، عن إبراهيم ، عن النبي ﷺ . ورواه أبو أحمد بن عدى الحافظ ، عن عبد الله البغوى ، حدثنا أبو الربيع الزهراني ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا بقيق بن الوليد ، حدثنا معان بن رفاعَةَ ، عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري قال : قال رسول الله ﷺ فذكره (٥) ، قال البيهقي : وتابعه إسماعيل بن عياش عن معان ، ورواه الوليد بن مسلم عن إبراهيم بن عبد الرحمن ، عن الثقة من أشياخهم ، عن النبي ﷺ (٦) ، وروى من أوجه أخرَ ضعيفة ، قاله البيهقي .

(١) ساقطة من المخطوطة، وهي في أ ، ر ، ط .

(٢) البخارى في بدء الخلق ، ب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَدْعُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعْبُدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (٣١٩١) .

(٣) الهيثمى فى مجمع الزوائد ١/١٤٥، وقال : « رواه البزار وفيه عمرو بن خالد القرشى كذبه يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل ونسبه إلى الوضع » عن أبى هريرة ، وابن عمر ، والعقبلى فى الضعفاء (١٨٥٤)، وقال : « ولا يعرف إلا به ، وقد رواه قوم مرفوعاً من جهة لا تثبت » ، وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات ٣١/١ عن جابر بن سمرة .

(٤) كنز العمال (٢٨٩١٨) .

(٥) البيهقى فى الكبرى ، فى الشهادات ، ب الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث فيقول: كفوا عن حديثه ... ٢٠٩/١٠ ، وكنز العمال (٢٨٩١٩) ، وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق ٢٣٠/٢ .

(٦) البيهقى فى الكبرى ، فى الشهادات ، ب الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث فيقول: كفوا عن حديثه ... ٢٠٩/١٠ ، وابن عدى فى الكامل ١/١٥٣ ، وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق ٢٣٠/٢ .

واعتنى ابن عبد البر بهذا الحديث ، وحاول تصحيحه واحتج به فى أن كُلَّ مَنْ حَمَلَ الْعِلْمَ فهو عدل والله أعلم . ومعان بن رفاعه مختلفٌ فيه ، قال أحمد ومحمد بن عوف وأبو داود : لا بأس به ، وقال ابنُ المدينى ودُحَيْمٌ : ثقة ، وقال الفسوى : لين الحديث ، وضعفه ابن معين ، وقال الجوزجاني (١) : ليس بحجة ، وقال ابن عدى : عامة ما يرويه لا يُتَابَعُ عليه . وقال ابن حبان : منكر الحديث .

ونقل المروذى ويوسف بن موسى عن أحمد أنه قيل له : رجلٌ أراد أن يصومَ يوماً تطوعاً فأفطر لطلب العلم ؟ فقال : إذا احتاج إلى طلب العلم ، فهو أحبُّ إلى ، فقليل له : لأنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ أَفْضَلُ ؟ فسكت .

وقال المروذى : سمعتُ أبا عبد الله يصف كيف يُؤْخَذُ الْعِلْمُ ، قال : نَنْظُرُ مَا كَانَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فإن لم يكن فعن أصحابه ، فإن لم يكن فعن التابعين .

وقال أبو داود : سمعت أبا عبد الله يُسألُ إذا جاء الشئُ عن الرجل من التابعين لا يوجدُ فيه عن النبي ﷺ الْيَزْمُ الرَّجُلُ أَنْ يَأْخُذَ بِهِ ؟ قال : لا ، ولكن لا يكادُ يجيئُ شئٌ عن التابعين إلا ويوجدُ فيه شئٌ عن أصحاب رسول الله ﷺ .

وقال الفضل بن أحمد : سمعتُ أحمدَ بن حنبلٍ وقد أقبل أصحابُ الحديث بأيديهم المحابر ، فأومأ إليها وقال : هذه سُرُجُ الْإِسْلَامِ ، يعنى المحابر .

وقال ابن الجوزى : قال الشافعى : لولا المحابرُ ، لَخَطَبَتِ الزنادقةُ على المنابر .

وروى بإسناده عن عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنى أبى قال : رَأَى الشافعى وأنا فى مجلس ، وعلى قميصى حبر وأنا أخفيه ، فقال : لم تخفيه وتستره ؟ فإنَّ الحبر على الثوب من المروءة ، لأن صورته فى الأبصار سَوَادٌ ، وفى البصائر بياض .

قال ابن الجوزى : وينبغى تجويد الخط وتحقيقه دون المشق (٢) التعليق ، ويكرهُ تضيقُ السطور وتدقيقُ القلم ؛ فإن النظر إلى الخط الدقيق يؤذى ، قال حنبل بن إسحاق : رَأَى أحمدُ بن حنبلٍ وأنا أكتبُ خطأً دقيقاً فقال : لا تفعل ، أحوج ما تكونُ إليه يَخُونُكَ . قال ابن الجوزى : وقد كان بعضهم يضيق السطور لعدم الكاغد (٣) ، وقد رأيت فى وجهه من خط أبى عبد الله الصورى أحداً وثمانين سطراً .

(١) هو العلامة الإمام أبو سليمان موسى بن سليمان الجوزجاني الحنفى ، حدث عن أبى يوسف ومحمد الحنفيان ، وابن المبارك ، وحدث عنه : القاضى أحمد بن محمد البرتى وبشر بن موسى ، وأبو حاتم الرازى وآخرون ، كان صدوقاً محبوباً إلى أهل الحديث ، وكان يكفر القائلين بخلق القرآن ، له تصانيف . [سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٩٤ ، ١٩٥] .

(٢) المشق : مشق الخط مده ، وقيل : أسرع فيه . اللسان ، مادة « مشق » .

(٣) الكاغد : القراطس . القاموس المحيط ، مادة « كغد » .

وقال البغوى عن أحمد : أنا أطلب العلم إلى أن أدخل القبر وقال صالح : رأى رجلٌ مع أبى محبرةً ، فقال له : يا أبا عبد الله ، أنت قد بلغتَ هذا المبلغَ وأنتَ إمامُ المسلمين ، فقال : معى المحبرة إلى المقبرة . وقال أحمد فى موضع آخر : إظهار المحبرة من الرياء ، وذكر له الصدق والإخلاص ، فقال : بهذا ارتفع القوم .

وروى ابن الجوزى بإسناده : عن عبد الرحمن بن مهدي قال : كان الرجل إذا لقي من هو فوقه فى العلم كان يوم غنيمته ، وإذا لقي من هو مثله دأرسه وتعلّم منه ، وإذا لقي من دونه تواضع له وعلمه . قال ابن عبد البر فى «بهجة المجالس» : وقال الأحنف : مذاكرة الرجال تلقح لعقولها ، ويأتى بنحو كراسة ما يتعلق بهذا .

فصل موعظة العلماء المتقين بالشعر

قال أبو يعلى الموصلى : سمعتُ أحمد بن حنبل يقول : خرجتُ فى وجه الصبح ، فإذا أنا برجلٍ سبل منديله على وجهه فناولنى رقعة ، فلما أضاء الصبحُ قرأتها فإذا فيها مكتوب :

عشٌ موسراً إن شئتَ أو معسراً	لا بد فى الدنيا من الغمِّ
وكُلٌّ زادك من نعمة	زاد الذى زادك فى الهَمِّ
إنى رأيتُ الناسَ فى دهرنا	لا يطلبونَ العلمَ للعلمِ
إلا مباحاةً لأصحابهم	وعُدَّةً للخصم والظلمِ

قال : فظننتُ أن محمد بن يحيى الذهلى ناوولنى ، فلقيته فقلت له : الرقعة التى ناوولتنى فقال : ما رأيته ، ما ناوولتك رقعةً ، فعلمتُ أنها عظةٌ لى ، وقال الحافظ تقي الدين بن الأخضر فيمن روى عن أحمد بن محمد بن مروان (١) قاضى تَكْرِيتَ قال : كتب رجل من إخوان أبى عبد الله أحمد بن حنبل إليه أيام المحنة :

هذى الخطوب ستنتهى يا أحمد	فإذا جزعت من الخطوب فمن لها
الصبرُ يقطع ما ترى فاصبر لها	فعسى بها أن تنجلي ولعلها

فأجابه أحمد :

صَبَرْتَنى ووعظتنى فأنا لها	فستنجلى ، بل لا أقولُ : لَعَلَّها
ويَحَلَّها مَنْ كان يملكُ عقدها	ثقة به ؛ إذ كان يملكُ حلَّها

(١) أحمد بن محمد بن مروان بن الطيب ، أبو العباس . فيلسوف غزير العلم بالتاريخ والسياسة والأدب والفنون ، ولد فى سرخس — من نواحي خراسان — وقرأ على الكندى الفيلسوف ، واتصل بالخلفاء العباسيين فعلم المعتضد بالله ، ثم تولى الحسبة ببغداد فى أيامه ، وناداه وخص به ، فكان المعتضد يفضى إليه بأسراره ويستشيره فى أمور مملكته ثم قتله ، له تصانيف كثيرة . [الأعلام للزركلى ٢٠٥ / ١] .